PEACEWORKS

إشراك القيادات الدينية العراقية في عملية السلام والمصالحة خلال مرحلة ما بعد داعش

بقلم آن وينسكوت

رقم 154 | نوفمبر/ تشرين الثاني 2019

United States Institute of Peace
Making Peace Possible

PEACEWORKS

رقم 154 | نوفمبر/ تشرين الثاني 2019

RELIGION

نبذة عن التقرير

يستعرض هذا التقرير نتائج 175 مقابلة أجريت مع مواطنين عراقيين في عدد من محافظات العراق هي بغداد، والبصرة، وديالي، ودهوك، وأربيل، وكربلاء، وكركوك، والنجف، والسليمانية والأنبار ونينوى. تُعَدُّ الدراسات والمقابلات التي تمخض عنها التقرير الماثل جزءا من مبادرة معهد الولايات المتحدة للسلام لرسم خريطة للمشهد الديني في البلدان التي عصفت بها النزاعات، وهي تهدف إلى تبين القيادات والمؤسسات الدينية التي يعتبرها العراقيون أكثر تأثيرا، وإلى تبين الأفكار الدينية التي تؤثر في جهود المصالحة في البلاد.

المؤلفة في سطور

آن وينسكوت أستاذة مساعدة للعلوم السياسية بجامعة ميامي في أوهايو. وهي متخصصة في الأشكال المعاصرة للتنظيم الديني في المجتمعات الإسلامية. من عام 2017 إلى عام 2018، شغلت آن وينسكوت منصب زميل لوس في الدين والشؤون الدولية في معهد الولايات المتحدة للسلام. صدر لها كتاب «تحويل الإسلام شأنا بيروقراطيا: المغرب والحرب على الإرهاب»، الذي نشرته دار النشر التابعة لجامعة كامبريدج في عام 2017.

صورة الغلاف: منظر جوي لبغداد ونهر دجلة. (تصوير أندرسون أويستاين/آي ستوك)

الآراء المعبر عنها في هذا التقرير هي آراء المؤلفة وحدها، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر معهد الولايات المتحدة للسلام. يمكن الاطلاع على نسخة إلكترونية من هذا التقرير وتقارير أخرى ذات صلة وكذلك معلومات إضافية حول هذا الموضوع على موقعنا (www.usip.org).

© 2019 لمعهد الولايات المتحدة للسلام

United States Institute of Peace
(معهد الولايات المتحدة للسلام)
2301 Constitution Avenue NW
Washington, DC 20037

هاتف: 202.457.1700
فاكس: 202.429.6063
البريد الإلكتروني: usip_requests@usip.org
الموقع الإلكتروني: www.usip.org

أعمال السلام، التقرير رقم 154. صدرت لأول مرة عام 2019.

الرقم الدولي الموحد: ISBN: 978-1-60127-800-5

UNITED STATES INSTITUTE OF PEACE
Making Peace Possible

قائمة المحتويات

ملخص	2
خلفية	3
الاتجاهات الدينية الأساسية	17
تأثير الفاعلين الدينيين	27
الاستنتاجات والتوصيات	41

ملخص

إن لدى الفاعلين الدينيين في العراق على اختلاف انتمائهم الديني والطائفي تأثيرا كبيرا في الوعي الجمعي، ويَنظر لهم المجتمع باعتبارهم أصحاب دورٍ في تعزيز سير البلاد نحو السلام. ومع أن إشراك الفاعلين الدينيين في جهود المصالحة لا يُعدُّ في حد ذاته ضمانة لنجاح تلك الجهود، لكن الأكيد أن استبعادهم منها سيؤدي إلى إخفاقها. وإن الأقليات الدينية تشكل جزءاً مهماً في هذا المشهد المعقد. ولا شك أن التصدي للتحديات التي تواجه الفاعلين الدينيين أمرٌ ضروريٌ لتعزيز جهود السلام والمصالحة المنطلقة من الاعتراف بتعدد الأديان.

لقد تضمن البحث الذي انبثق منه التقرير الماثل إجراء 175 مقابلة شبه مقننة. وقد أجريت المقابلات بين أواخر 2017 وأواخر 2018 في عدد من المدن والمناطق المحيطة بها. هذه المدن هي بغداد، والبصرة، وديالي، ودهوك، وأربيل، وكربلاء، وكركوك، والموصل، والنجف، والسليمانية، ومحافظتي الأنبار ونينوى. وتبين نتائج البحث أن العراقيين يوافقون، بل بالأحرى يرغبون رغبة حقيقية، في إشراك الفاعلين الدينيين في العديد من الجهود الرئيسية المتعلقة ببناء السلام. من أمثلة هذه الجهود مكافحة التطرف والطائفية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الأديان الأخرى، وتعزيز المصالحة الاجتماعية على المستوى المحلي، وتمثيل المواطنين فيما يتصل برفع شكاواهم إلى الجهات الرسمية. بالإضافة إلى ذلك، فقد كشفت الدراسة الماثلة عن وجود عدد من النزاعات ذات الأبعاد الدينية داخل الديانات والطوائف المختلفة وفيما بينها، وأن الفاعلين الدينيين قد يلعبون دورا مهما في التخفيف من حدة هذه النزاعات.

فضلا عن ذلك، تعتبر المواقع الإلكترونية والمدونات والوسائط الأخرى مصادرَ أساسيةً للإرشاد الديني. كما أن للقنوات التلفزيونية الدينية والمحطات الإذاعية والشخصيات الدينية تأثيرا كبيرا في وعي المواطنين على مستوى صياغة المواقف والتصورات المختلفة. في نفس الوقت، فقد لوحظ بروز اتجاهٍ جديدٍ آخذ في الصعود يتمثل في بروز حركات دينية تضم أعضاء من ديانات وطوائفَ مختلفة. من الأمثلة على ذلك الطريقة الصوفية الكسنزانية وحركة الداعي رباني في ديالي اللتان تضمان مريدين وأعضاء من السنة والشيعة. ولعل ذلك ما يتيح الفرصة لقادة هذه الحركات لريادة جهود المصالحة فيما بين الطوائف المختلفة.

وإذ يسعى بناة السلام وصنّاع السياسات لتأسيس شراكات مع الفاعلين الدينيين العراقيين والمؤسسات الدينية ضمن سياق جهود بناء السلام، فعليهم أن يكونوا حساسين لطبيعة المجتمعات الدينية والفاعلين الدينيين، وهي طبيعة معقدةٌ بكل تأكيد. عليهم أيضا أن يحرصوا على ضمان إشراك جميع الأطراف، وأن ينتبهوا لتأثير هذا الإشراك في وضع الشرعية المتصورة التي يحظى بها الفاعلون الدينيون.

سيدة شيعية عراقية في مسجد الإمام علي في النجف ، وسط العراق ، خلال شهر رمضان المبارك في مايو/أيار 2019.
(تصوير علاء المرجاني/رويترز)

خلفية

يمكن للفاعلين الدينيين أن يكونوا شركاء مهمين في إعادة بناء العراق خلال مرحلة ما بعد النزاع. وذلك لأنهم مؤثرون وهم قادرون على التأثير في صياغة سلوك أبناء مجتمعاتهم معتمدين في ذلك على ما للخطاب الديني والعبادات من أثر في النفوس.

«أعتقد أن المشهد الديني يمر بمرحلة إعادة تنظيم على مستوى كل ديانة وطائفة وكذلك على المستوى الفردي. الكل يبحث. الكل يعمل. خلال مرحلة ما بعد داعش، لم يَعُد الناس يثقون ببعضهم—سواء على مستوى كل طائفة وديانة أو على مستوى العلاقات بين الطوائف والديانات المختلفة.»

— مواطن عراقي مسيحي يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاما من سهول نينوى يعمل في الموصل.

بعد وقت قصير من إقدام ما يسمى بالدولة الإسلامية (ISIS) على اختطاف الآلاف من النساء الأيزيديات في صيف عام 2014، قرر زعيم الديانة الأيزيدية خرتو حاجي إسماعيل، المعروف أيضا باسم بابا شيخ، استحداث تغييرات فيما يتصل بالمعتقدات والطقوس الأيزيدية.[1] في السابق، كان إقدام أي من الأيزيديين على ممارسة العلاقة الحميمة مع غير أيزيدي أو غير أيزيدية يؤدي إلى الإخراج من الديانة. لكن بابا شيخ، وعلى نحو مناقض للتقاليد المتعارف عليها، وبالتشاور مع المجلس الروحاني الأيزيدي، أعلن أن النساء اللائي أسرهن تنظيم الدولة الإسلامية واستعبدهن مُرحبٌ بهن مُجددا كأيزيديات. وعندما رفض بعض شيوخ الديانة الأيزيدية ذلك التغيير وقاوموه، فإن الدعم الذي قدمه بابا الشيخ لهؤلاء النساء حسم الخلاف. وخلال الشهور اللاحقة، أقدم القادة الدينيون الأيزيديون على تعديل طقوس تعميد الأطفال حديثي الولادة، بحيث تشمل النساء العائدات من الأسر. وعليه، فإنه وَفقا لطقوس التعميد الجديدة، يُنظَرُ إلى المُعمدين على أنهم قد وُلدوا مُجددا في رحاب الديانة الأيزيدية. ليس هذا فحسب، بل إن بعضا من هؤلاء النساء أقدمن على أداء طقوس التعميد مرارا وتكرارا على أمل التعافي من الصدمة الناتجة عما تعرضن له.[2]

إن سلوك بابا شيخ يُعدُّ مثالا للمساهمات الفريدة التي يمكن للفاعلين في الساحة الدينية تقديمها خلال مرحلة ما بعد النزاع وبدء المصالحة. إن بإمكان الفاعلين الدينيين الاستفادة من الأطر التنظيمية القائمة والطقوس والشعائر، كل في طائفته أو ديانته، في مساعدة الضحايا الذين تعرضوا لصدمات للتعافي من أثر تلك الصدمات. وبإمكانهم توظيف مكانتهم القيادية في تشجيع مجتمعاتهم على دعم أولئك الذين تعرضوا لعنف شديد. أيضا، بإمكان الفاعلين الدينيين تبني مواقفَ جَسورةٍ حتى لو لم تحظَ بقبول شعبيٍ واسعٍ وتليين مواقف أولئك الذين يعارضون المصالحة في مجتمعاتهم. وباستطاعتهم استحداث نماذجَ سلوكيةٍ جديدةٍ يتمنون أن يلتزم بها أبناء مجتمعاتهم. ليس هذا فحسب، بل إن تأثيرَهم قد يكون مُضاعفا بناءً على أن دعمهم للمصالحة سيشجع الأطراف الأخرى على المشاركة فيها. باختصار، يمكن للفاعلين الدينيين أن يكونوا شركاء مُهمين في إعادة بناء العراق خلال مرحلة ما بعد النزاع. وذلك لأن لديهم تأثير، وهم قادرون على الإسهام في صياغة سلوك أبناء مجتمعاتهم معتمدين في ذلك على ما للخطاب الديني والعبادات من أثرٍ في النفوس.

إن خلاصة التقرير الماثل هي أنه من الجدير إشراكُ الفاعلين الدينيين في العراق كجزء من جهود السلام والمصالحة وذلك استنادا إلى ما يتسم به دورهم من تفرد وأهمية، واستنادا إلى ضخامة الموارد التي بين أيديهم. ومع أن إشراك الفاعلين الدينيين في جهود المصالحة لا يُعدُّ في حد ذاته ضمانة لنجاح تلك الجهود، فإن الأكيد أن استبعادهم منها سيؤدي إلى إخفاقها.

يتضمن التقرير الماثل تحليلا للدور الفريد الذي يلعبه الفاعلون الدينيون في العراق، استنادا لما ورد في سلسلة مقابلاتٍ أجريت مع مواطنين عراقيين. الفاعلون الدينيون يشملون العلماء التقليديين (أي مَن يُطلق عليهم «القيادات الدينية»). ويُضاف إلى ذلك الأشخاص الذين قد لا تكون لديهم مؤهلاتٌ دينيةٌ رسميةٌ أو لم يحصلوا على تعليمٍ دينيٍ تقليديٍ لكنهم مع ذلك مؤثرون في صياغة المواقف والسلوكيات الدينية العامة، بما في ذلك النساء والشباب. على أنه حريٌ بنا التنبهُ إلى أن تعريف أفرادٍ معينين بأنهم قياداتٌ دينيةٌ هو بطبيعته نتاجٌ لتقييمٍ وموقفٍ شخصي وإلى تقديرٍ فردي. وعليه، فقد استند التقرير الماثل إلى مواقفِ وتقديراتِ الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات فيما يتصل بتصنيف شخصٍ ما على أنه فاعلٌ دينيٌ دون اعتبار تلك المواقف والتقديرات بالضرورة صحيحة مئةً في المئة. على سبيل المثال، مع أن ذكر مقتدى الصدر ورد مرارا في إجابات الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات، فإن معظم هؤلاء الأشخاص ذكروه باعتباره زعيما سياسيا وليس باعتباره قائدا دينيا. إن التقرير الماثل ينطلق من التسليم ابتداءً بالحقيقة التي مفادها أن اعتبار بعض الأشخاص فاعلين دينيين مسألةٌ خلافية. وعلى أية حال، سترد في هذا التقرير توضيحاتٌ ذات صلة بهذه المسألة كلما كان ذلك ممكنا.

التأثير هو القدرة على الإسهام في صياغة معتقدات وسلوكيات الآخرين. ولفهم تأثير الفاعلين الدينيين، فإننا نسلط الضوء في هذا التقرير على أمرين هما: أساس التأثير، وطريقة ممارسته. المقصود بأساس التأثير هو العامل الذي يجعل فاعلا معينا ذا أثرٍ في محيطه. مثلا، عندما ندقق في تأثير عمار الحكيم، نجد أنه تأثيرٌ موروثٌ إلى حدٍ كبير. هذا مع أن لدى عمار الحكيم مقوماتٍ أخرى جعلته مؤثرا كالإعداد والتعليم الديني الذي حصل عليه وأنشطته الاجتماعية. في المقابل، يعتمد تأثير عدد كبير من الفاعلين الدينيين الآخرين على المناصب الدينية الرسمية التي يشغلونها بموجب حصولهم على تأهيل ديني في مؤسسات دينية وانتسابهم بعد ذلك لمؤسسات دينية. ينطبق هذا الأمر خصوصا على القادة الدينيين المسيحيين، مثل الأسقف باسيليو سليم يالدو. أخيرا، أدى استحداث مناصب رسمية للقيادات الدينية في أجهزة الدولة العراقية إلى زيادة عدد النساء اللائي لديهن تأثير واللائي يعتبرن فاعلات دينيات. مثلا، نجد أن نادية مغاميس، وهي من ديانة الصابئة المندائيين، قد ترأست سابقا الهيئة الحكومية المسؤولة عن الديانات والطوائف المصنفة كأقليات وكذلك ديوان أوقاف الديانات المسيحية والأيزيدية والصابئة المندائيين. إن تحديد العوامل التي تجعل بعض الأفراد مؤثرين قد يساعد المراقب على استشراف الفاعلين الدينيين الصاعدين الذين من المحتمل أن يصبحوا مؤثرين اجتماعيا وسياسيا في المستقبل.

أيضا، يسعى التقرير الماثل إلى تحديد المؤسسات التي يمارس من خلالها الفاعلون الدينيون التأثير. على سبيل المثال، إن الفهم السديد لوضع مقتدى الصدر هو أنه في المقام الأول قائدٌ لحركة شعبية قوية، لكنه أيضا لديه تأثيرا وذلك استنادا لارتباطه بسرايا السلام، وهي جماعة مسلحة. أما آية الله هادي المُدرسي فإن لديه حضورا مؤثرا عبر وسائل التواصل الاجتماعي. في بعض الحالات، قد يكون المنصب الرسمي الذي يتيح صلاحياتٍ دينيةٍ واسعةٍ في حد ذاته هو أساس تأثير شخص ما في الساحة الدينية وفي نفس الوقت وسيلة ذلك الشخص إلى ممارسة التأثير. التقرير الماثل يصنف المؤسسات التي يمارس الفاعلون الدينيون التأثير من خلالها، وعلى أساس ذلك التصنيف يسلط الضوء على الطرق المختلفة التي يؤثر بها الفاعلون الدينيون في صياغة الخطاب العام وهو ما يجعلهم أصحاب بصمةٍ حقيقية في تحديد مجرى الصراع وفي بناء السلام في البلاد.

على وجه التحديد، إن ما يميز بين الفاعلين الدينيين وبقية الشركاء الآخرين الذين يساهمون في بناء السلام، كالسياسيين والصحفيين وأصحاب الأعمال البارزين، هو قدرة الفاعلين الدينيين على التأثير في صياغة معتقدات المواطنين، وعلى تشجيع الوعي الجمعي ضمن مجتمعاتهم لتبني تغييرات في السلوكيات، وكذلك قدرتهم على تعبئة الموارد والاستفادة من التقاليد الدينية الغنية التي تلتزم بها مجتمعاتهم.

تختلف طرق ممارسة التأثير باختلاف الديانات والطوائف. فالفاعلون الدينيون في الساحة المسيحية ومن ينتمون للديانات والطوائف المصنفة كأقليات مثل الشبك والأيزيدية والكاكائية عادةً ما يمارسون قدرا أكبر من التأثير اعتمادا على مناصبهم الرسمية. أما الفاعلون الدينيون في الساحة الشيعية، فالأرجح أنهم يمارسون التأثير عبر الحضور الكثيف في وسائل التواصل الاجتماعي، أو عبر الاعتماد على مكانةِ جماعةٍ مسلحةٍ معينةٍ يرتبطون بها مثل قوات الحشد الشعبي، أو عبر الاعتماد على إمكانيات حزبٍ سياسي ما. ومع ذلك، فإن هذا التميز يتراجع بمرور الوقت. وذلك لأنه حتى الشبك والمسيحيون قد ألَّفوا مجموعاتِ حمايةٍ مسلحةٍ غير حكومية، وذلك لمواجهة العنف الذي تعرضوا له والمخاطر الوجودية التي واجهوها خلال السنوات الأخيرة. وفي نفس الوقت، أصبحوا أكثر نشاطا في وسائل التواصل الاجتماعي.

تتركز طبقة مهمة من الفاعلين الدينيين الشيعة في مدن الأضرحة المقدسة أي النجف وكربلاء. هؤلاء ليسوا مرتبطين بالحشد الشعبي أو بأحزاب سياسية، بل يسهمون في إدارة المعاهد الدينية والمؤسسات الدينية الأخرى. وبالإضافة إلى أن هؤلاء الفاعلين الدينيين يتسمون بالكثرة العددية، فهم يتميزون أيضا بحيازتهم لمقوماتٍ تتيح لهم قدرة على التأثير لا يُستهان بها. كما يتميزون بأن صيغ حصولهم على التمويل تسمح لهم بقدرٍ كبيرٍ من الاستقلال. هذان العاملان يتيحان لهم مدى أوسع بكثير من قنوات التأثير كفاعلين دينيين في الساحة الشيعية. أما الفاعلون الدينيون والسياسيون في الساحة السُنية، عموما، فقد اشتد بينهم الانقسام فتفرقوا في مختلف الأحزاب السياسية والمنظمات الدينية. وحتى يكون لديهم تأثير، أصبحوا يعتمدون اعتمادا كبيرا على المناصب الرسمية الدينية التي تخصصها لهم الدولة. هذا التأزم أضعف قدرة الفاعلين الدينيين السُّنَّة على مواجهة تحدي صعود داعش، كما أضعف قدرتهم على مواجهة التحديات الحالية المتعلقة بجهود المصالحة.

تُبين المقابلات التي أجريت أن الفاعل الديني الأكثر تأثيرا في العراق هو آية الله العظمى علي السيستاني، وذلك على مستوى مجموعة واسعة من الديانات والطوائف. ومع أن هذا لا يمثل مفاجأة للخبراء في الشأن العراقي على الأرجح، فقد بين البحث أيضا أن بطريرك الكلدان لويس رافائيل ساكو لديه تأثير أوسعُ مما هو مُعترفٌ به حاليا في المصادر والمراجع ذات الصلة، بل إن تأثيره يمتد أيضا بين أوساط المسلمين السنة والشيعة. والأرجح أن البطريرك ساكو يُعد الزعيم المسيحي الأكثر تأثيرا في العراق بعد البابا فرانسيس، بابا الفاتيكان. ومع ذلك، فإن نطاق تأثيره قد يبدو ضئيلا عند عقد الموازنة بينه وبين نطاق التأثير الهائل لآية الله العظمى السيستاني. أما معظم الفاعلين الدينيين الآخرين فإن تأثيرهم أقل بكثير من هذين الرجلين.

يهدف التقرير الماثل إلى تحليل تأثير الفاعلين الدينيين. على وجه التحديد، يجيب التقرير عن الأسئلة الآتية: من الفاعلون الدينيون الذين لديهم تأثير؟ إلامَ يستند تأثيرهم، وكيف يمارسونه؟ إن الغرض من هذه الأسئلة هو إلقاء الضوء على الدور المهم الذي يمكن أن يلعبه الفاعلون الدينيون في دعم جهود السلام والمصالحة. على وجه التحديد، إن ما يميز بين الفاعلين الدينيين وبين بقية الشركاء الآخرين الذين يساهمون في بناء السلام، كالسياسيين والصحفيين وأصحاب الأعمال البارزين، هو قدرة الفاعلين الدينيين على التأثير في صياغة معتقدات المواطنين، وعلى تشجيع الوعي الجمعي ضمن مجتمعاتهم لتبني تغييرات في السلوكيات، وكذلك قدرتهم على تعبئة الموارد والاستفادة من التقاليد الدينية الغنية التي تلتزم بها مجتمعاتهم.

علاقة متوترة

لأمدٍ ليس بالقصير، تبنت المؤسسات السياسية العراقية نهجا جوهره إذكاء التوترات الدينية في البلاد. لقد أسس البريطانيون دولة العراق الحديثة في عام 1921 بتوحيد ثلاث محافظات عثمانية هي الموصل وبغداد والبصرة. إبان عهد الإمبراطورية العثمانية، كان الدين الرسمي هو الإسلام السني. في العراق، أدى ذلك إلى تمكين الأقلية السنية على حساب الأغلبية الشيعية. ونتيجة لذلك، تعرض علماء المدن التي تحتضن الأضرحة الشيعية المقدسة، أي النجف وكربلاء للإقصاء. وعلى حد تعبير الباحث تشارلز تريب، «لقد تجاهل الشيعة عموما المؤسسات العثمانية».[3]

بالإضافة لذلك، سيطر السنة على مفاصل الدولة التي انبثقت من الإمبراطورية العثمانية، وخصوصا على المؤسسة العسكرية. وذلك لأن معظم الشيعة لم تكن لديهم الخبرة الرسمية التي تمكنهم من شغل مناصب في الحكومة الجديدة وأجهزة الدولة. ومع ذلك،

نجد أن عملية تأليف أول حكومة عراقية تضمنت وعدا ما بمشاركة الطوائف. فمع أن السنة هيمنوا على تلك الحكومة، إلا أنها ضمت كذلك أعضاء شيعةً ومسيحيينَ ويهودا.

على الرغم من هذه المؤشرات الإيجابية، فإن كثيرا من الأقليات ظلت لديها مخاوف بشأن أمنها وسلامتها. فخلال السنوات التي سبقت قبول عضوية العراق في عصبة الأمم، أقدمت مجموعة متنوعة من الأقليات، ضمت آشوريين (مسيحيين) وأيزيديين، على رفع التماس لطلب الحماية الدولية بدلا من أن يضعوا أمر أمنهم وسلامتهم بيد الدولة العراقية. وتحت ضغط من عصبة الأمم، أصدرت الدولة العراقية الناشئة وعدا في عام 1932 «بضمان حقوق الأجانب والأقليات، وكذلك بالسماح بحرية الاعتقاد والحرية الدينية».[4] وبعد مرور أكثر من خمسة وثمانين عاما، لا يزال العراق يناضل من أجل الوفاء بهذا الوعد، حتى وهو واقعٌ تحت ضغط أطراف محلية ودولية.

جدير بالملاحظة أنه كان لمخاوف الأقليات مبررات قوية. ذلك أن حمايتهم لم تكن أولوية لدى الدولة. مثلا، في مايو/أيار 1941، وفي حادثةٍ معبرةٍ عن ذلك، احتاجت الحكومة العراقية ليومين كاملين لكي ترد على اعتداء وقع على يهود عراقيين أدى إلى مقتل مائتي شخص وتدمير ممتلكات يهودية. وفي عام 1948، عندما كانت الحكومة تتعرض لضغوط بسبب تورطها في الحرب الكارثية التي خاضها العرب في فلسطين، زادت الدولة مضايقاتها لليهود. لقد «قُيدت تحركات اليهود، ومُنعوا من شغل مناصب حكومية معينة، وأقيمت المحاكمات العسكرية على نطاق واسع لحبس اليهود وتخويفهم، كما أُعدم أحد اليهود البارزين استنادا لمزاعم مفادها أنه قدم مساعدة لدولة إسرائيل الجديدة.»[5]

أن اضطهاد الدولة للأقليات الدينية لم يقتصر على اليهود. فخلال نفس الفترة، جعلت الدولة العراقية الالتحاق بالتجنيد العسكري إلزاميا. غير أن الأيزيديين أبدوا رفضا قطعيا للالتحاق بالتجنيد. لكن المقاومة التي أبدوها سُحقت من خلال فرض الأحكام العرفية على جبل سنجار، حيث يستقر معظم الأيزيديين. وخلال القتال الذي اشتعل بين الطرفين، قتلت القوات الحكومية المئات من الأيزيديين.

لم يقتصر الاضطهاد على الأقليات، إذ أصبحت العلاقة بين الشيعة والدولة تحديدا علاقة عدائية بصورة متزايدة. وفي الخمسينات من القرن العشرين، انعكست المقاومة الشعبية المتزايدة للعلمانية التي تصور الشعب أن الدولة تتبناها في صعود الاتجاه نحو النشاط السياسي الإسلامي، بما في ذلك نمو جماعة الإخوان المسلمين (بين السنة) وتأسيس حزب الدعوة (بين الشيعة). وقد تجدد هذا النزاع في العقود اللاحقة.[6]

في عام 1969، وقبل أن يصل صدام حسين إلى سُدَّة الحكم، حاول الرئيس حسن البكر استمالة أعلى زعيم ديني شيعي في تلك الفترة، وهو آية الله محسن الحكيم، لإعلان تأييده للعراق في الصراع الدائر مع إيران حول شط العرب، وهو الممر المائي الناتج عن التقاء نهري دجلة والفرات. لكن آية الله محسن الحكيم رفض مما أدى إلى إقدام الدولة على ارتكاب سلسلة من عمليات الاضطهاد ضد المؤسسات الدينية الشيعية وطلاب المعاهد الدينية والزعماء الدينيين. في المقابل، قاد زعماء دينيون من السنة والشيعة معا حركة احتجاجاتٍ ضد الإجراءات التي اتخذتها الدولة. لكن الدولة ردت بحظر التعليم الديني الإسلامي في المدارس العراقية. ورد آية الله الحكيم بإصدار فتوى تحظر مشاركة الشيعة في حزب البعث، مما سهل استمرار هيمنة السنة على مؤسسات الدولة.

اتسمت السبعينيات باضطهاد الدولة المستمر لكل من القيادات الدينية السنة والشيعة، على أن اضطهاد الشيعة اشتد عقب اندلاع الثورة الإيرانية في عام 1979. وفي الوقت نفسه، بدأ النظام الحاكم ينظر إلى الحس الديني باعتباره موردا يجدر استغلاله. جدير بالذكر أن حزب البعث العربي الاشتراكي قد حكم العراق خلال الفترة من عام 1968 وحتى عام 2003. وكان صدام حسين هو الممسك بزمام الأمر معظم تلك الفترة. سعى حزب البعث العربي الاشتراكي إلى استقطاب القادة الدينيين والمؤسسات الدينية دون تمكينهم. وبذلك، سار البعثيون على خط رفيع مستندين في ذلك إلى أطر الاستبداد التي استند إليها النظام الذي توخى إضعاف المعارضة وزيادة الانصياع العام. أراد النظام من النخب الدينية الموالية إضفاء الشرعية على سلطة البعث وتمكين الحزب من الاستحواذ على الخطاب الإسلامي الموجود، بصيغهِ المختلفة، دون تهديد هيمنة النظام.[7]

ومن أجل تيسير تنفيذ هذه الاستراتيجية، مارست الدولة الاضطهاد بلا رحمة ضد الفاعلين الدينيين الذين اعتبرتهم خارجين عن الدولة. وعقب احتجاجات 1991 التي اندلعت إثر حرب الخليج الأولى، صبَّت الدولة جامَ غضبها على آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي، المرجع الشيعي البارز في عصره، باغتياله وأبنائه. وبعد وفاة الخوئي، أصبح تلميذه آية الله العظمى علي السيستاني المرجع الأعلى بين الشيعة. وقد حذا السيستاني حذو الخوئي في تبني نهج الابتعاد عن السياسة، مع التدخل في اللحظات المهمة.

الزعيم الايزيدي خرتو حاجي إسماعيل، المعروف أيضا باسم بابا شيخ، يتحدث خلال مقابلة مع رويترز في مقر إقامته في شيخان، بإقليم كردستان شمال العراق، في 7 ديسمبر/كانون الأول، 2016. (تصوير أري جلال/رويترز)

خلال الثمانينيات، خاض العراق حربا وحشيةً ضد إيران أسفرت عن مقتل مئات الآلاف من الجانبين. في المرحلة الأخيرة من الحرب، استهدف صدام حسين سكان شمال العراق والأكراد استهدافا خاصا بسبب تحالفهم مع إيران. وتشير التقديرات المتعلقة بحملة الأنفال إلى مقتل مئة ألف مواطن على الأقل. وكجزءٍ من حملة تعريبٍ قسريٍ تهدف إلى تغيير التركيبة السكانية في المنطقة بحيث تتحول من كتلة سكانية غالبيتها أكراد إلى كتلة سكانية غالبيتها عرب، أصبح الترحيل القسري أو الإعدام عقوبة أي شخص لا يُعَرِّف نفسه بأنه عربي في التعداد السكاني لعام 1987. لم تكن العواقب وخيمة على الأكراد فحسب، بل أيضا على الأقليات الدينية التي رفض أبناؤها أن يُعَرِّفوا أنفسهم بأنهم عرب. وعلى الرغم من أن هزيمة العراق في حرب الخليج الفارسي (1990-1991) أدت إلى حصول إقليم كردستان العراق على الحكم الذاتي، فقد استمر البعثيون في استهداف مدينة كركوك على نحو خاص ضمن سياق محاولة التعريب القسري وذلك حتى حصول الغزو الأمريكي للعراق في عام 2003.[8]

كان للغزو الأمريكي عواقب وخيمة على المشهد الديني في العراق. أدت التسوية الجديدة القائمة على تقاسم السلطة إلى حجز المناصب الرسمية الأكثر تأثيرا للشيعة، بما في ذلك رئاسة الوزراء، ووزارتي الداخلية والخارجية. أما الأكراد فقد حازوا موقع رئاسة الجمهورية ووزارة المالية. وأما السنة، فخُصص لهم منصب رئيس البرلمان ووزارة الدفاع. كما أقدم مجلس الحكم العراقي أيضا على تقسيم وزارة الأوقاف إلى ثلاث وزارات منفصلة: واحدة للسنة، وواحدة للشيعة، وواحدة للأقليات.

وفي محاولة للحيلولة دون ظهور حزب البعث مجددا كقوة رئيسية في الساحة السياسية العراقية، تبنت سلطة التحالف المؤقتة التي حكمت العراق في العام اللاحق على الغزو نهج اجتثاث البعث. أدى هذا النهج إلى استبعاد أعضاء حزب البعث السابقين من جميع المناصب الرسمية في القطاع العام، وإلى حظر تبوؤهم مناصب رسمية في المستقبل. كان لسياسة اجتثاث البعث آثار واسعة النطاق، وقد طُبقت على أشخاص يزاولون مهنا غير سياسية كالأطباء والمعلمين. أما أبناء الطائفة السنية، التي ظلت تهيمن

على الجيش وأجهزة الدولة لفترة طويلة، فقد وجدوا أنفسهم بلا عمل وغير قادرين في كثير من الأحيان على إيجاد وظائف خارج أجهزة الدولة.

بالإضافة لما سبق، فإن الغزو الأمريكي للعراق أزال الهياكل الاستبدادية التي تسنى لها احتواء القوى الدينية. وعلى حد تعبير الباحث صامويل هلفونت، «إن المتطرفين السنة والشيعة الذي قُمعوا وأُسكتت أصواتُهم أصبحوا فجأة أحرارا وقادرين على أن يتحركوا جَهارا نهارا. لقد ازدهرت حركتهم في مناخٍ شهد صعودا قويا للحس الديني، وأقدموا على تأليف منظمات مسلحة مزقت البلاد شر مُمَزَّق».[9] كما أصبح المتطرفون السنة والشيعة قادرين أيضا على اللعب على وتر عقودٍ من الاضطهاد الذي عانوه على يد الدولة، وذلك لكسب تأييد العراقيين.

يحتج الناقدون بأن رئيس الوزراء نوري المالكي، الذي خدم في الفترة من 2006 إلى 2014، اتبع نهجا شجع نمو الطائفية في البلاد. اتُّهِمَ المالكي بأنه لم يفلح إلا في تقنين الميليشيات الشيعية تقنينا ضعيفا، بينما حلَّ حركة الصحوة السنية، واستهدف السياسيين السنة بالاعتقال وغير ذلك من أشكال المضايقة. وعندما اندلعت الاحتجاجات في المناطق السنية في عام 2013 مطالبةً بوضع حد للحرمان السياسي، يزعم الناقدون أن المالكي قمعهم بوحشية. وردا على ذلك، طالبت نُخبٌ سُنيةٌ كثيرةٌ بإقامة منطقة حكم ذاتي للسنة.[10] وإلى جانب الصراع السني السني والمظالم الناجمة عن اجتثاث البعث، أدى حرمان السنة إلى تحفيز الالتحاق بداعش أو على الأقل ارتضاء وجوده. أما في عهد رئيس الوزراء حيدر العبادي، الذي خلف المالكي في عام 2014 وخدم حتى أواخر عام 2018، فقد أبدى السُّنة في العراق تفاؤلا في بادئ الأمر. لكن العديد من المواطنين لم يلبثوا أن شعروا بخيبة أمل إزاء ما رأوا أنه تَقَربٌ من إيران بدلا من الابتعاد عنها. الكلمات الآتية لأحد أعضاء البرلمان من السنة تلخص مشاعره تُجاه هذا الأمر في 2017: «لقد أصبحنا اليوم نازحين، أصبحنا مُهمشين تماما – والأمر يزداد سوءا كل يوم ... إن لدينا حكومة فاسدة تسيطر عليها قوة أجنبية، وذلك على حساب السنة.[11] هذه الكلمات تعكس خيبة الأمل التي انتشرت في الساحة السنية على نطاقٍ واسعٍ إبَّان رئاسة العبادي لمجلس الوزراء.

جدير بالملاحظة في هذا الصدد أن الدولة العراقية الراهنة لم تزل تتبنى سياساتٍ تعزز أهمية الهوية الدينية في الحياة السياسية وتشجع التوترات الطائفية، سواء كان ذلك عن قصد أو غير ذلك. دستوريا، يُعَدُّ الإسلام الدين الرسمي. وبموجب القانون، لا يُسمح للمسلمين اعتناق ديانات أخرى. واليهود لم يزالوا غير قادرين على شغل مناصب رسمية أو الخدمة في الجيش. وتقتصر إجراءات إصدار بطاقة الهوية الوطنية، والتي تتضمن قيد دين المواطن في وثيقة الهوية الخاصة به، على إتاحة الفرصة للمواطن أن يختار بين الديانة الإسلامية أو المسيحية أو ديانة الصابئة المندائيين، وتميز ضد الأقليات الدينية. ومما يزيد من حدة التوترات القائمة في هذا الصدد اشتراط أن يجري قيد الأطفال المولودين لأب مسلم أو أم مسلمة كمسلمين، بغض النظر عما إذا كانوا قد وُلدوا نتيجة للاغتصاب.[12] هذا، وإن صدور قانون بطاقة الهوية الوطنية الأخير في عام 2015 متضمنا هذا الاشتراط، تزامنا مع إقدام داعش على استعباد أبناء الديانة الأيزيدية والأقليات الأخرى، ساهم في تصوير الدولة العراقية باعتبارها معادية للأقليات.[13] فضلا عن ذلك، فإن القانون العراقي لا يصون الحرية الدينية بالنسبة للملحدين والعديد من الأقليات الدينية الأقل عددا.

في ضوء ما سبق، يجب على بناة السلام وصانعي السياسات أخذ هذا التاريخ المتوتر في الاعتبار أثناء محاولتهم إشراك القطاع الديني في جهود المصالحة وبناء السلام. إن للفاعلين الدينيين أسبابا وجيهة لتوخي الحذر فيما يتصل بالتعاون مع المؤسسات التي ترعاها الدولة، بما في ذلك المؤسسات الأجنبية والمحلية. في الوقت نفسه، علينا أن ندرك أن الحاجة اليوم إلى التعاون مع الفاعلين الدينيين لتعزيز السلام والمصالحة هي أكبر من أي وقت مضى.

المشهد الديني

لقد انخفض عدد الأقليات في العراق بنسبة تقديرية تبلغ 2 في المئة على مدى السنوات المئة الماضية. قبل الحرب العالمية الأولى، قُدرت نسبة الطوائف إلى إجمالي عدد السكان في العراق كالآتي: 50 في المئة من العراقيين كانوا من الشيعة، و20 في المئة من الأكراد، و20 في المئة من السنة، و8 في المئة من أقليات أخرى شملت المسيحيين، والأيزيديين، والصابئة المندائيين، والتركمان.[14] أما وفقا للتقديرات الراهنة، فإن 55 في المئة من إجمالي تعداد السكان شيعة و40 في المئة سنة (15 في المئة أكراد، و24 في المئة عرب، و1 في المئة تركمان)، و5 في المئة أقليات أخرى.[15]

وفي عام 2019، قُدِّر عدد المواطنين المسيحيين بأقل من ربع مليون نسمة الغالبية العظمى منهم يعيشون في سهول نينوى وإقليم كردستان العراق. أما قبل الغزو الأمريكي، فقد قُدِّر عددُ المواطنين المسيحيين بما لا يقل عن ثمانمئة ألف. ويلاحظ أن السكان المسيحيين متنوعون للغاية، ويتألفون من مجموعة متنوعة من الطوائف منها الكاثوليك الكِلدانيون، والآشوريون، والسريان الأرثوذكس، والسريان الكاثوليك، والأرمن الكاثوليك، والأرمينية الرسولية، والأنجليكانية، والبروتستانتية. ووَفقا للتقديرات، فإن عدد المواطنين الإنجيليين صغيرٌ جدا، إذ يُقدر بثلاثة آلاف شخص. وتشمل الأقليات الأخرى العراقيين الأيزيديين الذين يُقدر عددُهم بما بين ستمئة ألف إلى ثلاثة أرباع مليون. أما المواطنون الصابئة

المندائيون، فيُقدر عددُهم بعشرة آلاف؛ بينما يقدر عدد البهائيين بألفين، والكاكائية (اليارسانيين) بما لا يقل عن 120,000. كما قُدِّر عدد المواطنين اليهود بـ 430 أسرة في إقليم كردستان العراق وتسعة أشخاص بالغين في بغداد.[16]

هذا، ولعل الأقليات السنية والعراقية أكثر من شُرِّدَ بسبب القتال الذي اندلع في السنوات الأخيرة. وقد قَدرت المنظمة الدولية للهجرة عدد سكان العراق النازحين داخليا في عام 2018 بمليونين ونصف مليون نسمة. ثلاثة أرباع هذا العدد هم عرب سنة (67 في المئة عرب و6 في المئة أكراد)، و14 في المئة من الشيعة (تركمان، عرب، أو شبك)، و8 في المئة أيزيديون، و3 في المئة مسيحيون، بينما يتكون بقية عدد السكان من الأقليات الأقل عددا المتبقية.[17]

بناءً على أسباب تاريخية وجغرافية واجتماعية، وأسباب دينية، اختلف نمط تنظيم بنية السلطة الدينية عند السنة عن نمط تنظيم بنية السلطة عند الشيعة. بالنسبة للسنة، أدت هيمنتهم على مؤسسات الدولة إلى جعلهم أقل اضطرارا لتأسيس مؤسسات غير حكومية للدفاع عن مصالحهم وتمثيلهم. وعليه، فقد كانت مؤسساتهم غير الحكومية أضعف، والمناصب المرتبطة بتلك المؤسسات أقل بريقا. كما جرت العادة أن تصطف الطائفة السنية مع واحدةٍ من القبائل أو مع واحد من الأحزاب لا مع أحد العلماء. أما الشيعة، فقد حافظوا على بنية هرمية للسلطة الدينية باعتبارها سلطة مضادة لسلطة الدولة، كما أسسوا مؤسسات قوية، بما في ذلك عددٌ من المعاهد العلمية الهامة.

في الإسلام السني، بنية السلطة الدينية واسعة وهي متناثرة في العديد من المؤسسات والأفراد. وفي جميع أنحاء العالم، يتبع معظم السُّنَّة واحدا من أربعة مذاهب فقهية. ومع أن غالبية السنة في العراق يتبعون المذهب الحنفي، فإن وجود تقاليد فقهية متنافسة يسهم في جعل السلطة الدينية متناثرة بناء على أن الأفراد لديهم فرصة أكبر لاختيار الفاعل الديني الذي يتبعونه. كما أن أتباع المذاهب المُختلفة ينظرون إلى النصوص باعتبارها سلطة، وإلى العلماء باعتبارهم سلطة. هذا الأمر أدى إلى أن يكون لدى السنة أكثر من مدرسة علمية. فضلا عن ذلك، ليست هناك هيئة مركزية توحد هذه المدارس. كما أنه لا توجد في العراق مراكز للتعليم الديني السني يخفف وجودها من أثر هذه العوامل.

أما بنية السلطة الدينية بين الشيعة فهي أكثر هرمية. هناك عوامل مختلفة تصوغ السلطة الدينية، على أن مستوى تحصيل الفرد من العلم الديني هو العامل الأساسي عند الشيعة. وهناك ألقاب دينية محددة تعبر عن مستوى التحصيل الديني. هذه الألقاب تُسهل على المواطنين العاديين إدراك رتبة العالم المَعْنِي ومكانته، وتسهل عملية اختيار المرجع الديني الذي يجدر تقليده. في الساحة الشيعية، يُطلق على الواحد من العلماء الأكثر تحصيلا لقب آية الله العظمى. أما العلماء ذوو الرتب الدنيا فيطلق على الواحد منهم لقب آية الله ثم حجة الإسلام (ولنا أن نلاحظ أن هذا اللقب الأخير يعني السلطة الدينية). منذ منتصف القرن التاسع عشر، شاع كذلك بين العلماء الذين يحوزون رتبة آية الله العظمى اختيار العالم الأكثر تحصيلا بينهم وتمتعه بصدارة ما. ويطلق على هذا العالم لقب مرجع أو مرجع ديني (والجمع: مراجع). هذا وإن المراجع وغيرهم من علماء المعاهد الدينية الشيعية، والطلاب، والمجتمع الديني الأوسع المرتبط بهم، يُكوِّنون مجتمعين حَوْزَةً علمية.[18] وفي الأقسام اللاحقة من التقرير الماثل، سنتناول هذه الألقاب بتفصيل أكبر.

فضلا عن ذلك، من المفترض أن يختار كل شيعي مرجعا يتبعه باعتباره أعلى سلطة دينية بالنسبة له. لذلك، نجد أنه يجري تشجيع الشيعة على بناء علاقة رسمية مع أحد العلماء، على أن هامش الاختيار المتاح لهم أضيق من الهامش المتاح للسنة. إن نتيجة ذلك هي انبثاق مشهد ديني ينطوي على قدر أعلى من التنظيم.

المنهجيات المتبعة

لا يدعي هذا التقرير أنه يقدم استنتاجات قطعية حول طبيعة المشهد الديني العراقي. واقع الأمر أن التقرير الماثل يُعدُّ محاولةً للمساهمة في ملء فجوة معرفية قائمة. كما أنه يهدف على المدى البعيد إلى أن يكون مصدر إلهام للبحوث اللاحقة ذات الصلة ومُستندا تستند إليه تلك البحوث. أيضا، يُعدُّ التقرير الماثل محاولةً لإلقاء الضوء على جوانب المشهد الديني في العراق وتحليلها، لا سيما الفاعلين الدينيين المؤثرين، وذلك لمساعدة صناع السياسات وممارسي السياسة عموما على فهم كيفية التعامل والانخراط في المشهد الديني على نحو أفضل ضمن سياق بذل الجهود لتعزيز السلام في العراق.

استنادا إلى المنهجية التي وضعها معهد الولايات المتحدة للسلام لرسم خريطة المشهد الديني في البلدان التي عصفت بها النزاعات، يُعد التقرير الماثل ثمرة لمسعى معرفي رصين تضمن بحوثا ميدانية، ومشاورات أجريت مع خبراء، ومراجعات للمصادر الثانوية.[19] لقد بدأ البحث المكتبي المرتبط بهذا المسعى في يونيو/حزيران 2017 واستمر حتى تاريخ النشر. ويتضمن هذا البحث المكتبي تحليلات للتقارير الحالية والتغطية الإعلامية باللغتين العربية والإنجليزية وكذلك مشاورات أجريت مع الخبراء، وصناع السياسات، ومنظمات بناء السلام. أُجْري البحث الميداني بالشراكة مع منظمة سند لبناء السلام، وهي منظمة عراقية غير حكومية. وقد تعاقدت منظمة سند مع أربعة عشر باحثا محليا.

وبعد حصول أولئك الباحثين على التدريب، أجروا 175 مقابلة شبه مقننة. وقد أجريت المقابلات بين أواخر 2017 وأواخر 2018 في عدد من المدن والمناطق المحيطة بها. هذه المدن هي بغداد، والبصرة، وديالي، ودهوك، وأربيل، وكربلاء، وكركوك، والموصل، والنجف، والسليمانية، ومحافظتي الأنبار ونينوى. اختيرت الأماكن التي أجريت فيها المقابلات بناء على الإمكانات التي تتمتع بها فيما يتصل بتحقيق مشاريع المصالحة المستقبلية ولأنها تمثل تنوعا جغرافيا جيدا، وتسهل مسألة تمثيل الطوائف التي تعتبر من الأقليات. وهي تعتبر أماكن آمنة لإجراء المقابلات. وقد اعتُمدَ قالب المقابلات شبه المقننة بناء على أن المستوى المنخفض للإحاطة الراهنة بالمشهد الديني العراقي لا يسمح باعتماد تقنيات أكثر تطورا، مثل أبحاث المسح، مع أن نتائج هذا التقرير يمكن بالتأكيد أن توفر الأساس لإجراء مسح رصين.[20]

ضمت الفئات التي أجريت معها المقابلات باحثين جامعيين، وقادة منظمات غير حكومية، وناشطين، ومعلمين، وأصحاب أعمال بارزين، وغيرهم ممن يُعدون جهاتٍ مهمةٍ فيما يتصل بتوفير المعلومات بناء على قدرتهم على تناول موضوع تأثير الفاعلين الدينيين في مجتمعاتهم. بعض المقابلات أجريت مع فاعلين دينيين على المستوى القاعدي، أي ضمن المستوى المرتبط بالمواطن العادي ارتباطا مباشرا، مثل الأساتذة في المعاهد الدينية. وينبغي أن يكون واضحا أن الغالبية العظمى من المقابلات أجريت مع أفراد ليس لديهم تضارب في المصالح في تحديد الفاعلين الدينيين الذين لديهم تأثير. واتباعا لإجراءات الأمن والسلامة، اختير الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات من الشبكات الاجتماعية التي سبق للباحثين القائمين على إجراء المقابلات تأسيسها.

مناطق البحث في العراق

مقتبسة من العمل الفني لـ راينر ليسنيوفسكي/Shutterstock

في التخطيط لعملية إجراء المقابلات وتنفيذها، لم ينظر إلى من أجريت معهم المقابلات باعتبارهم عينات عشوائية. وعليه فلا يمكن أن يُستنبط من البيانات وجود توجهات أكبر من التوجهات التي أفصحت عنها نتائج المقابلات. وبناء على أن البيانات الواردة في التقرير الماثل مُستقاةٌ من المقابلات، فإنه ينبغي النظر إلى التقرير الماثل باعتباره مجرد رصدٍ لتصور المواطنين العراقيين الذين أجريت معهم المقابلات للمشهد الديني. ومع أن تصور المرء في حد ذاته لا يُعدُّ مقياسا كاملا لتأثير الشخص موضوع الدراسة، فإنه يتيح الفرصة للقارئ أن يُكوِّنَ فهما عاما عن ذلك الشخص. هذا، وقد لوحظ في كثيرٍ من الأحيان أن التحليل الأولي لوسائل التواصل الاجتماعي ذات الصلة بالموضوع يؤكد أهمية فاعلين دينيين معينين حتى لو تعذر تصنيف مستوى تأثير الواحد منهم تصنيفا دقيقا.

لقد هدفت الأسئلة التي طرحت خلال المقابلات إلى تحديد الفاعلين الدينيين الذين لديهم تأثير ضمن أوساط ديانات وطوائف محددة في المجتمع العراقي. وعليه فقد تضمنت قائمة الأسئلة التي وُجهت للأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات الآتي: من الشخص الذي ترجع إليه للاسترشاد في المسائل الدينية؟ هل حصل في أي وقت من الأوقات أن أقنعك فاعل ديني معين أن تبدَّلَ رأيُك في قضيةٍ معينة؟ إذا كان الأمر كذلك، فمن ذلك الفاعل الديني؟ خارج ديانتك أو طائفتك، من الفاعلون الدينيون الذين تُكِنُّ لهم احتراما أكثر؟ هل هناك شبابٌ لديهم تأثير ديني؟ من بين القيادات النسائية لديها تأثير؟ هل هناك قنواتٌ تلفزيونيةٌ دينيةٌ تحظى بشعبية؟ إذا كان الأمر كذلك، فما تلك القنوات؟ من أشهرُ المعلقين في تلك القنوات؟ في وسائل التواصل الاجتماعي، ما الحسابات وصفحات الإنترنت الخاصة بالأفراد المتدينين الأكثر تأثيرا؟

هذا، وتجدر الملاحظة أن هذا التقرير لا يتضمن إحصاءً لجميع الفاعلين الدينيين الذين أماط البحث عنهم اللثام. كما تجدر الإشارة إلى أننا حاولنا أن نُقصر تناولنا على الأشخاص المعروفين على المستوى الإقليمي أو الوطني، وذلك من أجل حماية خصوصية الفاعلين الدينيين الذين لم يدخلوا بعدُ دائرةَ الأضواء ولضمان أمنهم وسلامتهم، ومن أجل عدم شد الانتباه إليهم. وعليهِ، فإن التقرير لم يُدرج الأشخاص الذين جاء ذكرهم في مدينةٍ واحدةٍ من المدن التي غطتها الدراسة. على أن هذا الاختيار كانت له تداعياتٌ غير مَرْجوَّة. فعلى سبيل المثال، لوحظ أنه عادة ما يقتصر تأثير النساء الفاعلات في الساحة الدينية على المستوى المحلي.

لذلك، ومع أن البحث أسفر عن رصد عدد من النساء المتدينات اللائي لديهن تأثير، فإن التقرير الماثل لم يذكر سوى أسماء النساء الفاعلات في الساحة الدينية المعروفات على المستوى الإقليمي أو على المستوى الوطني. في العراق، تبدي النساء المتدينات البارزات مَيْلا لشغل مناصب رسمية (كمديرات للمدارس مثلا). والأرجح أنهن يبدين ميْلا أقل بكثير للعمل كناشطات في وسائل التواصل الاجتماعي. لقد جاء ذكر دور المُلَّاية مرارا وتكرارا في المقابلات. ومن بين إسهامات المُلَّاية عند الشيعة إقامة مراسم العزاء.

في بعض الأحيان، ستتضمن صفحات التقرير الماثل مقتطفاتٍ حرفية وذلك لتوضيح أمورٍ مهمة. وسوف يلاحظ القراء أن لقب «السيد» قد تكرر وروده في المقابلات. وهو لقب شرفي ينتشر في الساحة الشيعية ويُعبر عن احترام الفاعل الديني الذي هو سليل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من ذرية حفيديه الحسن والحسين.

إشراك القطاع الديني ... لماذا؟

إن من منطلقات التقرير الماثل إعطاء الأولوية لتحليل القطاع الديني لكن ليس لأنه القوة الأكثر تأثيرا في الشأن السياسي العراقي، بل لأن الفاعلين الدينيين شركاء مهمون فيما يتصل بجهود السلام والمصالحة. فعلى حد تعبير أحد من أجريت معهم المقابلات، إن خطب آية الله العظمى السيستاني «ذات أثر كبير في وقف سفك الدماء وتعزيز السلام». لعل هذه الكلمات تسلط الضوء على الدور الفريد الذي يتأهب الفاعلون الدينيون للعبه في عمليات المصالحة. وكما بينا سابقا، فإنه بإمكان الفاعلين الدينيين استخدام تأثيرهم في الإسهام في صياغة سلوكيات المواطنين، ومن ثَمَّ في إحداث تحولات إيجابية في مرحلة ما بعد النزاع.

ثانيا، إن جهود المصالحة التي لا تتضمن إشراك القيادات الأكثر تأثيرا في المجتمع، سواء الدينية أو غيرها يمكن أن تتعرض للإعاقة. ذلك أنه باستطاعته الفاعلين الدينيين مفاقمة النزاعات القائمة أو الإسهام في حلها.[21] ولهذا السبب أقدمت الحكومات العراقية وأقدم الفاعلون غير الرسميين على زيادة بناء الشراكات مع الفاعلين الدينيين العراقيين. حتى المملكة العربية السعودية بدأت تفتح ذراعيها وتمد أيديها للشيعة وللزعماء الدينيين المسيحيين في العراق، وذلك ضمن سياق جهود النظام السعودي التي تهدف إلى إعادة تقديم نفسه باعتباره نظاما معتدلا.[22]

هذا، وخلال المشاورات التي أجريت ضمن سياق هذه الدراسة، عبر العديد من صناع السياسة الأمريكية عن أنهم قد اعتراهم شعورٌ بالإحباط بسبب صعوبة التعامل مع الفاعلين الدينيين في العراق الذين يشعرون بالقلق من أن يُنظر إليهم على أنهم قريبون جدا من حكومات أجنبية، وهو قلق له ما يبرره. وفي هذا الصدد، يهدف التقرير الماثل لأن يقدم بعض الخلاصات العميقة والرؤى التي لم يتسنَّ لصناع السياسات الوصول لها بسبب هذه الفجوة. كما نرجو أن يتضمن هذا التقرير إرشادات وتوجيهات حول كيفية التعامل مع هذه الحساسيات ضمن سياق بناء الشراكات مع القادة الدينيين العراقيين.

ثالثا، ينبغي أن يكون واضحا أنه حتى التأثير الذي يبدو أنه ذو طبيعة دينية بحتة يمكن أن يُترجم بسرعة إلى تأثير ذي طبيعة سياسية. إن جعفر الصدر مثال على ذلك. فمع أنه شخصية غير معروفة نسبيا، فقد انضم بسرعة لسباق الترشح لمنصب رئيس الوزراء في عام 2010 مع أنه تنقصه الخبرة السياسية. ولقد كان نسبهُ كافيا لأن يتيح له الحصول على ثاني أكبر عدد من الأصوات في تحالف دولة القانون خلال الانتخابات البرلمانية.[23] فهو سليل آية الله العظمى باقر الصدر، وهو عالم شيعي بارز أعدمه صدام حسين في 1980.

أخيرا، تستند أهمية إشراك الفاعلين الدينيين في جهود المصالحة وبناء السلام إلى أن التأثير أمر لا غنى عنه في تنفيذ السياسات. ووفقا لتوضيحات الباحث خوجير ويريا، «في العراق .... تصدر قوانين كثيرة، وتُتخذ إجراءاتٌ وقراراتٌ كثيرة، لكن التأثير والتنفيذ هو ما ينقصنا».[24] وبناء على أن التأثير هو أمر شديد الحيوية بالنسبة للتنفيذ، فإن هذا التقرير يحلل صيغ تأثير الفاعلين الدينيين المختلفين، مع التركيز على تشجيع بناة السلام وصناع القرار أن يبنوا شراكات مع الفاعلين الدينيين الذين يمكن أن يوظفوا تأثيرهم في دعم جهود السلام والمصالحة.[25] والحال كذلك، فينبغي ملاحظة أن التقرير لا يتبنى موقفا معينا بشأن ما إذا كان هناك فاعلون دينيون معينون ينبغي إشراكهم في هذه الجهود أو لا.

إن انخراط مكتب آية الله العظمى السيستاني في عملية الحوار التي أطلقت عام 2014 برعاية معهد الولايات المتحدة للسلام، وانخراط منظمة سند لبناء السلام، وشبكة الميسرين العراقيين، كل ذلك يسلط الضوء على الدور الذي يمكن أن يلعبه الفاعلون الدينيون في تنفيذ السياسات. ومما أثار المخاوف وقتها احتمال إقدام القبائل الشيعية على تنفيذ عمليات قتل انتقامية ضد القبائل السنية لاسيما بعد إقدام تنظيم الدولة الإسلامية على ذبح 1700 طالب شيعي في معسكر سبايكر. لقد لعب مكتب آية الله العظمى السيستاني دورا خلال مرحلة التحليل في التحقيق الذي أُجري في هذا الصدد، كما لعب دورا خلال المفاوضات اللاحقة. ومن خلال إرسال ممثل من مكتبه لحضور المفاوضات، استثمر

السيستاني حضوره في الجهود وضغط على الأطراف الشيعية المشاركة في المفاوضات من أجل أن يشاركوا مشاركة كاملة وأن يقبلوا الاتفاق النهائي. وجدير بالذكر أن الاتفاق لا يزال صامدا حتى يومنا هذا.

وعلى الرغم من أن إشراك الفاعلين الدينيين مهم، إلا أن هؤلاء الأشخاص لا ينبغي النظر إليهم على أنهم مجرد فاعلين يجب إشراكهم وكفى. فعلى حد تعبير إيلي أبو عون، «إن التحول (في العراق) يستلزم إدراج صانعي الرأي، بمن فيهم القادة الدينيون والصحفيون، والمعلمون، والجهات المانحة الدولية، وذلك للمساعدة في تحفيز المجتمع لتبني قناعات جديدة تعزز التنوع السياسي، وعمليات التداول السلمي للسلطة، واحترام حقوق الإنسان».[26]

ومع أن هذا التقرير يشجع الإشراك المستهدف للفاعلين الدينيين، فإن المقابلات التي أجريت تشير إلى أن العراقيين يرغبون أن يكون نطاق مشاركة الفاعلين الدينيين في الشأن السياسي أضيق مما هو عليه، لا أن يتسع. في هذا الصدد لوحظ أن عددا لا يستهان به ممن أجريت معهم المقابلات أوضحوا أنهم يفضلون إشراك الفاعلين الدينيين في المصالحة، إذ إنهم يرون أن دورهم ينبغي أن يقتصر على ما يسمونه المصالحة الاجتماعية. لقد أعربوا بوضوح عن قلقهم من مشاركة الزعماء الدينيين في المصالحة السياسية أو في المعترك السياسي الحزبي على وجه العموم.

ومع ذلك، فقد أبدى من أجريت معهم المقابلات اهتماما بمجموعة قضايا فيما يتعلق بإشراك الفاعلين الدينيين. أما القضية الأولى فترتبط بالدور الذي يمكن أن يلعبه الفاعلون الدينيون في رفع مظالم مجتمعاتهم ومطالبها. وقد عبر العديد ممن أجريت معهم المقابلات عن خيبة أملهم الناتجة عن أن الفاعلين الدينيين لم يمارسوا هذا الدور بما فيه الكفاية، خاصة وأنه يتعلق بمطالبة الحكومة العراقية بتقديم خدمات اجتماعية وعامة أفضل.

ثانيا، لقد عبر عدد كبير ممن أجريت معهم المقابلات عن أنهم يرغبون أن ينخرط الفاعلون الدينيون في مكافحة الطائفية والتطرف الديني. ومع أن البعض قد يفترض أن التطرف الديني يُعدُّ مشكلة سُنية أساسا، وهو ما يتجلى في أيديولوجية داعش، فإن المقابلات تشير إلى أن العديد من العراقيين ينظرون أيضا إلى أنماط التطرف الأخرى باعتبارها ظواهر مقلقة، بما في ذلك أنماط التطرف الشيعي التي سنتناولها في قسم لاحق من هذا التقرير عنوانه «الاتجاهات الدينية».

لعله بالإمكان ملاحظة أن العراقيين يتخوفون من أن تؤدي الدعوة لإشراك الفاعلين الدينيين في جهود تعزيز السلام إلى انخراط الفاعلين الدينيين في الاستقطابات السياسية الحزبية، وخاصة على المستوى المحلي. والحقيقة أن المزيد من انخراط الفاعلين الدينيين في المستوى المحلي للتوسط في النزاعات، ونقل مظالم المواطنين، والمساهمة في محو الأمية الدينية، قد يؤدي إلى إبعاد هؤلاء الفاعلين الدينيين عن الاستقطابات السياسية الحزبية.

أثر داعش في المجتمعات الدينية

خلال صيف عام 2014، استولت ما سُمّى بـ «الدولة الإسلامية» على ما يقرب من ثلث أراضي العراق. وبعد أكثر من ثلاث سنوات من القتال، وتحديدا في 9 ديسمبر/كانون الأول، 2017، أعلن رئيس الوزراء حيدر العبادي الانتصار على هذا التنظيم. في ذلك الوقت، كان الباحثون المنخرطون في الدراسة الميدانية الممهدة لهذا التقرير يُكملون جولة العمل الأولى من العمل الميداني.[27] ومع أن صيغة عنوان هذا التقرير تشير للعراق بـ عراق ما بعد داعش وهو ما يوحي بانتهاء وجود التنظيم في العراق، فإن أيديولوجية داعش وخلاياه النائمة لم تزل موجودة. إن المقصود من العنوان هو بيان أن العراق يعبر نحو مرحلة جديدة لا سيما وأن الدولة العراقية بدأت تنتقل من مرحلة استخدام الموارد في القتال إلى استخدامها في بناء البلاد.

ساهمت المنافسة السنية السنية وكذلك النزاع المسلح في صعود داعش كما ساهمت في إضعاف قدرة النخب السنية على مواجهة الأزمة الناجمة عن ظهور التنظيم. فبعد حل حزب البعث، ادعت أكثر من جهة سنية لنفسها الصدارة ونَصَّبَت نفسها زعيمة للسنة. من بين تلك المجموعات أحزاب سياسية مثل الحزب الإسلامي العراقي ومنظمات سياسية دينية مثل المؤتمر العام للسنة العراقيين وهيئة علماء المسلمين.[28] وقد أدى الاقتتال الداخلي بين هذه الجهات وكذلك التذبذب بين المشاركة في الشأن السياسي العراقي وبين مقاطعته، إلى جعل السنة عرضة لهيمنة الجهة التي قدمت نفسها باعتبارها الجهة التي يمكنها أن تمثل مصالحهم وتتصدى لحل مظالمهم، أي داعش. في حادثة أصبحت مثالا سيئا، تبادل بعض شيوخ القبائل الذين يُعدُّون جزءا من النخبة السنية اللكمات وإلقاء الكراسي خلال مؤتمر يهدف إلى حل مشكلة كيفية مواجهة داعش.[29]

إن أسلوب تنظيم داعش الوحشي في الحكم واستهدافه للأقليات الدينية واعتماده على إشاعة ثقافة الاتهام بين سكان البلاد السنة عقب انضمام بعض أعضاء الطائفة السنية إلى التنظيم، كل ذلك موثق توثيقا جيدا. لكن هناك العديد من الآثار الخفية الأخرى لصعود خلافة داعش ثم تفككها، لا سيما تلك التي طالت الطوائف

الأخرى غير طائفة السنة. إن المثال الذي سبق أن أوردناه والمتمثل في إقدام بابا شيخ على تعديل الطقوس الدينية التي يمارسها الأيزيديون ليس سوى مثالاً واحداً على ذلك.

وهناك ديانات أخرى شهدت أيضا استحداث تغييرات في نهجها نتيجة لظهور داعش. مثلا، نجد أن طائفة الكاكائية، وهي أقلية دينية محدودة العدد يعيش معظم أبناؤها في شمال العراق، قد شهدت انقساما ازداد حدة بين أولئك الذين ينظرون إلى الكاكائية باعتبارها ديانة مستقلة وبين أولئك الذين يدعون أنها طائفة من المسلمين. في تعليقه على ذلك، يقول أكو شاويس، ممثل الكاكائيين في مجلس محافظة حلبجة: «أعتقد أن هذا الانقسام قد نشأ بسبب خوف الكاكائيين من تعرضهم لهجوم على يد متشددي تنظيم الدولة الإسلامية أو على يد غيرهم من المتشددين الإسلاميين»[30] لقد كان للخلاف تداعيات سياسية على طائفة الكاكائية التي لم تَعد ممثلة في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في إقليم كردستان نتيجة تنافس الفريقين لنيل حظوة التمثيل. ولم يَحْلُ الوضعُ من مزيد من التعقيد بسبب سياسات الحكومة. فكما هو الحال بالنسبة للبهائيين، الديانة الكاكائية غير معترف بها كديانة رسمية في العراق. وعليه، فإن عضو الطائفة الكاكائية يُعَرَّفُ بأنه «مسلم» فقط في بطاقة الهوية. أيضا، أدى تحول بعض الأشخاص الكاكائيين إلى الإسلام إلى تغييرات في الطقوس الدينية. تَمثَّل هذا التغيير في أن الكاكائيين الذين كانوا يعيشون بالقرب من الأراضي التي سيطر عليها تنظيم داعش أصبحوا يمارسون سلسلة من الممارسات الإسلامية، مثل إقامة الصلاة بالصورة التي يقيمها بها المسلمون أو تلاوة القرآن أثناء إقامة الشعائر الجنائزية.[31]

بالنسبة للمسيحيين والأيزيديين، كان تأثير داعش جسيما ووجوديا بكل ما تعنيه الكلمة من معنى. فنتيجة لتصرفات داعش تجاههم، وآثار الحملة العسكرية لإزاحة داعش، والتمييز المستمر والاضطهاد الذي يتعرضون له، نشأت مخاوف حقيقية بين المسيحيين والأيزيديين حول إمكانية استمرار بقائهم في العراق. جدير بالذكر أن هذه القضايا قد وُضعت تحت مجهر التحليل في عددٍ من المنتديات، على أن هناك آثارا مهمة أخرى لتأثير داعش في المجتمع المسيحي لم تُدرس دراسة منهجية وافية. تشمل هذه الآثار زيادة الحس المسكوني أو الوحدة الإيمانية بين قيادة الكنائس المسيحية. لقد أصبح زعماء الطوائف المسيحية يكثرون من إقامة طقوس العبادة في كنائس الطوائف المسيحية الأخرى، ويحضرون لقاءاتهم. في أحد الأمثلة، شارك رجال الدين السريان الكاثوليك والسريان الأرثوذكس في أول ملتقى كاثوليكي لتقديم القربان المقدس يُعقد في الموصل منذ أكثر من ثلاث سنوات للتعبير عن التضامن والاحتفال باستعادة تقديم القربان في المنطقة.[32] على أنه ينبغي أن يُلاحظ أن استقرار هذا الحس المسكوني الوحدوي المتزايد على المدى الطويل مهددٌ بسبب الخلاف بين الزعامات المسيحية حول درجة مشاركة المجتمع المسيحي السياسية وطبيعة هذه المشاركة.

لقد شكا الأشخاص المسيحيون الذين أجريت معهم المقابلات من زيادة الانقسامات فيما بينهم وفيما بين قادتهم الدينيين. في هذا الصدد تقول سيدة شابة (تبلغ من العمر 25 سنة) وهي في الأصل من الموصل لكنها الآن تدير برامج للمساعدات في سهل نينوى: «بالنسبة للمسيحيين، زادت النزاعات الطائفية. فكل شخص تلتقيه يسألك عما إذا كنت من الكلدان أم الآشوريين، أرمني أم سوري. في السابق، لم نعهد السؤال عن مثل هذه الأمور».

فيما بين المسلمين، أدى بروز داعش إلى إجراء مراجعات داخلية جذرية بين المواطنين السنة والشيعة على السواء. فوَفقا لأحد الأشخاص الذين أُجريت معهم المقابلات:

> بالنسبة للجانب الديني، فقد تعرض «لانقلاب»، وقد تغير الكثير من المفاهيم المجتمعية حول الدين. وكان لظهور داعش، والتطرف الوهابي، وفتاوى الردة، تاثيراً كبيراً أيضا. اليوم، الجميع يسأل: «هل هذا حقا ديننا؟» هناك قدرٌ من الشك، وهناك بحثٌ عن الإسلام الحقيقي. عددٌ كبيرٌ من المتطرفين الدينيين تحولوا إلى العلمانية، وخاصة أولئك الذين يقيمون خارج العراق – وأنا أرى أن هذا تغييرٌ نحو الأفضل.
>
> على سبيل المثال، لدينا اليوم في العراق، وفي إيران أيضا، طلاب الحوزة [المعهد الديني عند الشيعة] الذين هم في مقتبل العمر، ويكتبون بطريقة حديثة ويبحثون عن الدين الحقيقي، ويستحدثون تغييرات في المذاهب، ويرفضون التعاليم التقليدية.

هذا، وسيكون موضوع انتشار العلمانية وغيرها من التغييرات الحاصلة على مستوى الهوية الدينية في العراق محلا للنقاش في قسم لاحق من هذا التقرير.

إن وجود داعش شجع استحداث تغييرات في الطقوس الدينية والتعليم. بالنسبة للشيعة، فإن حج الأربعين الذي يقام للاحتفاء بذكرى استشهاد الحسين، حفيد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، أصبحت له دلالات سياسية منذ 2014. لقد زاد تعداد الحجيج زيادة مطردة منذ أن عاد العراقيون إلى ممارسة حج الأربعين في عام 2003. وفي عام 2014، قُدِّرَ تعداد الحجيج بما يربو على عشرين مليون شخص. «لم تعد الطقوس مجرد ملتقى ثقافي، بل أصبحت تنطوي على شيء من الاحتجاج السياسي. لقد أصبحت تضمن استعراضا للقوة ضد الأطراف المعادية لصعود الشيعة [وهو تعبير ملطف يقصد به «داعش»] في المنطقة».[33] إن الزعم بأن حج الأربعين ظل على الدوام احتفالا دينيا بحتا هو زعم غير دقيق. ومع ذلك، فإن زيادة تسييس الحج تشير إلى تأثير صعود داعش في الفعل السياسي الشيعي.[34]

لقد أوضح أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو ينتمي للطائفة الشيعية، كيف أن الكتب المدرسية الدينية يجري تنقيحها بسبب تزايد المخاوف من التطرف:

> هناك كتابات سنية وشيعية قديمة لم تزل تُشيع الكراهية ولم تُنقح بعد. لذلك دعا الكثير من وجهاء الشيعة بالنجف إلى مراجعة هذه الكتب التي تنشر الكراهية والشحناء، وخاصة بعد دخول داعش. وقد أدى ذلك إلى تغيير الكثير من الأفكار والآراء بين الشيعة. وهكذا بدأ القائمون على المراجعة والتنقيح يطالبون باستبعاد الأحاديث والنصوص المتعلقة بأسر النساء والعبيد لأنهم رأوا كيف استغل (داعش) هذه النصوص ... ولأنهم خافوا أن يتكرر ذلك. وفي واقع الأمر يمكن اعتبار هذا الأمر الشيء الجيد الوحيد الذي أدى إليه صعود داعش: لقد حفز عددا من القيادات الدينية على التفكير خارج الصندوق.

أما بين طائفة السنة، التي شهدت تجنيد داعش لعدد من أفرادها، أو تعرض عدد منهم للاتهام بالالتحاق بداعش، فإن تفاصيل تأثير صعود داعش في الطائفة من المستحيل تقديره. لقد انتشر بين السنة خوف حقيقي من أن يتعرض من نُسبَ إليه الالتحاق بداعش هو وأسرته للانتقام. لقد أوضح شخصٌ ممن أجريت معهم المقابلات، ينتمي للطائفة السنية ويعيش في الأنبار، أن بعض الأشخاص في الطائفة السنية «ليسوا على استعداد لمجرد قبول بقاء شقيق المجرم [عضو داعش] أو حتى أقاربه بين أبناء الديرة. «إن الأمر لا يقتصر على عدم الترحيب ببعض عائلات داعش في ديرتهم، بل إن العديد منهم الآن مجبرون على العيش في المخيمات. وهم غير قادرين على التحرك بحرية أو الحصول على عمل يقتاتون منه».

أيضا، بين أبناء الطائفة السنية، أدى صعود داعش لحصول تغيرات في توقعات المواطنين إزاء أدوار القادة الدينيين. لقد أشار شخص آخر ممن أجريت معهم المقابلات يعيش في الأنبار إلى الدور المتزايد للقادة الدينيين في المجتمع نتيجة لصعود داعش. فخلال إجابته عن الأسئلة أوضح أن القادة الدينيين هم الأكثر تأهيلا للتدخل في المنازعات التي يَتهم فيها أحد الجيران جارَهُ بسبق الانضمام لداعش. شخصٌ آخر ممن أجريت معهم المقابلات ذكر أن القادة الدينيين هم أفضل من يمكن التعويل عليهم في منع ظهور ما يسمى بأيديولوجية داعش الثانية.

إن الأمر الأكثر تعقيداً هو أن السياسات المتبعة في ملف إعادة الإعمار خلال مرحلة ما بعد داعش أدت إلى ولادة مظالم جديدة بين الطوائف الدينية في العراق. فبعض الشيعة، لا سيما في جنوب البلاد، يساورهم القلق من أن المساعدات التي تعهدت جهاتٌ مانحةٌ بتقديمها لإعادة إعمار العراق ومعها عوائد النفط ستذهب حصرا إلى المناطق التي دمرها داعش، أي في شمال البلاد وغربها. وعليه، فسيُحرمُ من هذه المساعدات سكان المناطق الغنية بالنفط التي رَفَدَت جبهات القتال ضد داعش بالكثير من المقاتلين (وأغلبهم من الشيعة)، والذين فقد الكثير منهم حياته ثمنا لذلك. ومما يفاقم الشعور بالمظلمة أن البعض يرى أن القبائل السنية هي الجهة المسؤولة عن صعود داعش. هذا ما نلمسه في كلمات سلمان عبد الودود التي وردت خلال المقابلة التي أجريت معه: «ها أنت ترى المناطق السنية، التي أحضرت لنا تنظيم داعش وأقرت نهجه، ودعمته، تحصل على التعويضات لجبر الضرر الناتج عن الدمار الذي حصل هناك، بينما نحن لم نحصل حتى الآن على حق شهدائنا. في النهاية، هم يحصلون على أموال نفطنا بينما نظل نحن نعاني الحرمان».[35]

باختصار، كان لصعود داعش آثارٌ جسيمةٌ في المشهد الديني. لقد جعل صعود داعش القادة الدينيين يعدلون طقوسهم ومعتقداتهم والنصوص التي يعتمدونها، وذلك ضمن سياق مواجهة صعود هذا التنظيم الإرهابي وآثاره. كما حصلت تغييرات في الاصطفافات وأنماط المواءمات السياسية فيما بين الطوائف. أصبح التعاون بين بعض الطوائف أكثر جدية. كما تأثرت جوانب أخرى للعلاقات بين الطوائف تأثرا سلبيا طويل الأمد نتيجة لذلك. أخيرا، فإن توقعات المواطنين إزاء الأدوار العامة التي يجدر أن يضطلع بها القادة الدينيون تغيرت هي الأخرى، لا سيما بين السنة.

وجهات نظر حول المصالحة

وَفقا لهربرت كيلمان، وهو باحثٌ مختصٌ في تسوية النزاعات، تُعدُّ المصالحة المرحلة الثالثة في عملية بناء السلام. أما المرحلة الأولى فهي تسوية النزاع، أو إنهاء العنف. المرحلة الثانية هي حل النزاع وتبدأ هذه المرحلة عندما تُتخذ الخطوات الأولية نحو بناء الثقة بين أطراف النزاع. ويعقب ذلك بدء المرحلة الثالثة أي المصالحة.[36] هذا، وجدير بالملاحظة أن هناك تصورات متنوعة إزاء طبيعة هذه المرحلة الأخيرة. فمن ناحية، نجد أن أنصار ما أطلق عليه السلام الليبرالي يرون أن المصالحة يجب أن تركز على تلبية احتياجات الأفراد للوصول إلى المؤسسات، وللوصول للعدالة بمساءلة المذنبين.

على الضفة الأخرى، نجد آخرين يرون أن المصالحة عبارة عن عملية تبدأ وتكتسب دَفْـقـهَا بين أفراد المجتمع وأبناء الطوائف المختلفة. وعلى حد تعبير الباحث دانيال فيلبوت، فإن المصالحة «تشمل حزمة من الالتزامات الأساسية التي تنبع من الليبرالية مثل حقوق الإنسان، [لكن] فكرتها المركزية، وهي تصحيح أوضاع علاقات المواطنين فيما يتصل بحقوقهم، هي في الحقيقة فكرة أكثر شمولا من ذلك، سواء على مستوى ارتكازها على إدراك

لويس رافائيل ساكو، رئيس الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية في العراق، في حفل أقيم في 28 يونيو/حزيران، 2018، حيث أسبغ عليه البابا فرانسيس لقب كاردينال الكنيسة الكاثوليكية. (تصوير توني جنتيل/رويترز)

الأضرار التي تسببها انتهاكات حقوق الإنسان وجرائم الحرب، وكذلك على مستوى حزمة الممارسات التصالحية التي تقترحها».[37] هذا، ووَفقا لفيلبوت، فإن المفهوم الحاكم لأي مصالحة هو العدالة، وذلك بالمعنى الواسع لمفهوم العدالة. وإن دور الفاعلين الدينيين في عملية المصالحة دور مركزي. فكما يوضح فيلبوت، «اتسمت مطالبات الجهات الدينية المختلفة بتحقيق مفهوم العدالة وجهود المناصرة المتعلقة بذلك بعدم التناسب، على أن هذا الأمر لا يقتصر على تلك المطالبات والجهود.

في التقاليد الإسلامية، وَفْقا للباحثة رشا دياب، تتميز عملية المصالحة أو الصلح بأنها «نموذج لصنع السلام يتسم بالمرونة والقدرة على توليد حلول مختلفة». ويمكن أن تُدَشَّنُ عمليةُ الصلح إما عن طريق إقدام طرف من الأطراف المتنازعين على إبداء الاعتذار، أو إعلان التزامه بالسلام. وتتطلب العملية حضور الشهود لتسهيل المساءلة لاحقا عن مدى الوفاء بالالتزامات المتعلقة بعملية السلام.

تقول رشا دياب إن الصلح مشابهٌ لأنواع أخرى من الأعمال التي تَصُبُّ في بناء السلام لأن «الجميع يشكون من الظلم والعنف ويطالبون بتسوية النزاع وتحقيق السلام».[38] الصلح في حقيقته هو تلك المقاربة لتسوية النزاع التي تبناها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، والقرآن يذكر الصلح مرارا وتكرارا.[39] كان النبي وأصحابه يؤثرون سلوك طريق الصلح على سلوك الطريق الرسمي أي التقاضي، إذا رأوا أن سلوك الطريق الرسمي قد يؤدي إلى صدور حكم لصالح طرفٍ مع أنه قد يكون غير جدير به.[40]

فضلا عن ذلك، فإن المصالحة مفهوم مركزي في اللاهوت المسيحي. هذا مع أنها لم تصل إلى وضعها الحالي في العقيدة المسيحية إلا منذ وقت قصير. مفهوم المصالحة تحول من كونه مفهوما لاهوتيا يُعنَى به اللاهوتيون إلى مفهوم عملي يُعنَى به الناشطون، وذلك بفضل جهود القادة الدينيين المعاصرين في جنوب إفريقيا مثل رئيس الأساقفة ديزموند توتو. استخدم توتو مفهوم المصالحة كنقيض لنظام الفصل العنصري. أيضا، نجد أن جون دي جروتشي، وهو أحد علماء اللاهوت في جنوب أفريقيا،

اعتمد مفهوم المصالحة لتسوية النزاعات العنيفة، مناديا بلاهوت مرتكز على المصالحة. يؤكد جون دي جروتشي أن «المصالحة في جوهرها هي استعادة العدالة».[41]

وفي المقابلات التي أجريت، ظهرت ثلاثة اتجاهات حول المصالحة. أولا، لوحظ أن المواطنين العراقيين يُميزون بين المصالحات السياسية (التي تُجرَى على المستوى الوطني) وبين المصالحة الاجتماعية (التي تُجرَى على المستوى المحلي). ثانيا، لوحظ أن المواطنين العراقيين يُقرون انخراط الفاعلين الدينيين في المصالحة الاجتماعية لكنهم لا يُقِرُّون انخراطهم في الشأن السياسي على المستوى الوطني. أخيرا، لوحظ أن المواطنين العراقيين يقرون انخراط الأقليات الدينية في المصالحة الاجتماعية.

المصالحة السياسية مقابل المصالحة الاجتماعية

العديد من الذين أجريت معهم المقابلات فرقوا بين ما أسموه المصالحة الاجتماعية والمصالحة السياسية. معظمهم رأى أنه يجب أن يشارك الفاعلون الدينيون في المصالحة الاجتماعية، لا في المصالحة السياسية. يوضح هذا الأمر أحد من أجريت معهم المقابلات وهو سني من بغداد بقوله:

> المصالحة الوطنية كذبة كبيرة يروج لها سياسيا لكنها في الحقيقة تهدف إلى تحقيق أغراض وأهداف أخرى. أولا، نحن بحاجة إلى المصالحة الاجتماعية الشاملة، واستعادة نظام القيم الخاص بنا، واستعادة المؤسسة الدينية. عندها، وعندها فقط، يمكن لنا أن ننتقل إلى المصالحة السياسية. العلماء ليس لهم دور [في المصالحة السياسية] لأنه مشروع سياسي. تأثير العلماء يقتصر على تخفيف حدة التوترات لا إثارتها – وهذه هي مسؤوليتهم. مسؤوليتهم هي إدارة نظام القيم الديني في المجتمع العراقي.

إشراك الفاعلين الدينيين في المصالحة الاجتماعية

يقول أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو شيعي من البصرة، معلقا على التمييز بين المصالحة السياسية والاجتماعية: «أنا لا أريد من العلماء أن يتدخلوا في الصراعات السياسية. ... أنا أريد منهم أن يتدخلوا في النزاعات الاجتماعية لمنع سفك الدماء وإصلاح العلاقات بين الطوائف. ... على العلماء أن يقبلوا أن يكون دورهم الأساسي هو الإسهام في المصالحة في العراق».

شخص آخر ممن أجريت معهم المقابلات، وهو رجل شيعي من النجف، وهو ممن يريدون من الفاعلين الدينيين أن يشاركوا في إجراء المصالحات، أوضح في إجابته أن ذلك لا يجب أن يشمل المسائل السياسية الأخرى. «على العلماء ألا يتدخلوا في النزاعات «الحزبية الضيقة». لا يوجد متسع لهم للتدخل. وقد ينتهي بهم المطاف أن يكونوا هم الخاسرين. وعليه، فلا يجدر بهم أن يشغلوا أنفسهم بهذا النوع من النزاعات. بدلا من ذلك، فإنه يجدر بتدخلاتهم أن تنصب على القضايا التي تهم المجتمع».

أحد الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات، وهو رجل أيزيدي من إقليم كردستان العراق، يشرح لماذا يُفضل انخراط الفاعلين الدينيين في الشأن السياسي: «كل طائفة لديها توجهات سياسية كثيرة، لذلك فإن السياسيين لا يستطيعون تمثيلهم. وعليه فإن الأفضل الاستفادة من الفاعلين الدينيين الذين يحظون بقبول المواطنين على اختلاف قناعاتهم السياسية».

إشراك ممثلي الأقليات الدينية

لقد نشأ إجماعٌ بين من أجريت معهم المقابلات مفادهُ أن هناك حاجةً لإشراك قادة الأقليات الدينية في المصالحة الاجتماعية. مثلا، نجد أن أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو رجل سني من كركوك، أوضح في إجابته أنه يعتقد أن القادة الدينيين من الطوائف الكبيرة لديهم دور خاص في تيسير إشراك الأقليات الدينية.

الاتجاهات الدينية

إن أولئك الذين يسعون إلى التواصل مع القطاع الديني في العراق قد يستفيدون من فهم العديد من الاتجاهات القائمة بين الطوائف التي ظهرت في العمل الميداني.

التوجيه والإرشاد من خلال مصادر عبر الإنترنت

أفاد من أجريت معهم المقابلات أنهم ينشدون الحصول على التوجيه والإرشاد الديني عبر الانترنت. في بعض الحالات، ذكر بعضهم أنهم يفضلون البحث عن إجابات لأسئلتهم في المواقع الموجودة على الإنترنت على أن يوجهوا السؤال شخصيا لأحد القادة الدينيين. على سبيل المثال، ففي معرض الإجابة عن السؤال، «لمن تذهب عندما تحتاج إلى توجيه أو إرشاد ديني؟» قالت امرأة شيعية تركمانية في الثالثة والثلاثين، وهي من الموصل: «الحمد لله أنني لم أكن بحاجة إلى أيٍّ من ذلك، وإذا كنت بحاجة إلى جهة أسألها فلن أتوجه إلى العلماء. قد أذهب إلى أحد المواقع الموثوقة في الإنترنت التي تحوي إجابات جيدة». بالطبع، إن هذا التعليق من جانب هذه السيدة لا يعبر فحسب عن أن المصادر الموجودة في الإنترنت التي توفر التوجيه والإرشاد الديني تحظى بشعبية، لكنه يعبر أيضا عن الديناميات التي تفرضها اعتبارات النوع الاجتماعي، أو الاعتبارات الجنسانية، والتي هي ما يصوغ هذه القرارات. والظاهر أن النساء على وجه الخصوص أميْل لطلب التوجيه والإرشاد الديني من المدونات أو مواقع الإنترنت الأخرى حتى لا يُضطررن إلى طرح أسئلتهن مباشرةً على العلماء المرتبطين بالمؤسسة الدينية الرسمية، والذين هم في الغالب ذكور.

وسائل الإعلام المؤثرة: التلفزيون والإذاعة

إن الإعلام الديني في العراق قائم على أسس طائفية. فليست هناك قنوات تقدم أو تتضمن طيفا واسعا من وجهات النظر. وفيما يتعلق بموضوع المحطات التلفزيونية الدينية، يقول أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو رجل عربي سني من الموصل،

> أعتقد أن السنة يتأثرون بقنواتهم، وينطبق الشيء نفسه على الشيعة. ومع ذلك، فإن الشيء الأهم هو أنه لا توجد قنوات ذات خطاب معتدل تعبر عن جميع الأفكار من كل اتجاه. لا يوجد هذا النوع من القنوات التي تسمح بنقل التأثير الإيجابي للدين، والتي تسلط الضوء على أهميته في حياة الشعب العراقي.

لعل إحدى الأفكار التي يمكن لصنّاع السياسة في العراق تبنيها هي فكرة إنشاء محطة تلفزيونية دينية ترعاها الدولة تركز على محو الأمية الدينية وتسعى إلى نشر المبادئ الدينية الأساسية التي تشترك في تمثيلها جميع الطوائف الموجودة في العراق، أي المبادئ التي لا علاقة لها بالشعائر التعبدية.

لقد أفصحت البحوث والدراسات التي أجريت عن أن هناك عددا من وسائل الإعلام التي تتمتع بقدرة على التأثير:

- في أوساط الشيعة: الأنوار، الفرات (وهي شبكة تابعة لعمار الحكيم)، تلفزيون كربلاء، قناة العقيلة، الحجة، تلفزيون الإباء، الغدير (بدر).
- بين السنة: قناة القرآن (وهي تحظى بشعبية كبيرة على ما يبدو بين النساء)، قناة المجد (السلفية)، تلفزيون الهُدى، قناة الرسالة (السعودية)، قناة اقرأ (السعودية)، قناة الشارقة (الإمارات العربية).
- وكما أفاد أحد من أجريت معهم المقابلات وهو من السنة: «العراقيون عموما يشاهدون القنوات الدينية السعودية».
- القنوات التي تتمتع بشعبية في السليمانية تتضمن الآتي: بيام (بيان) وتلفزيون المُزغري (وهو يتبع الحركة السلفية في إقليم كردستان العراق).
- في كل من السليمانية ونينوى، تُعدُّ المحطات الإذاعية الدينية مهمة أيضا. في السليمانية، ورد في الإجابات ذكر إذاعة السنة كإذاعة تتمتع بالقدرة على التأثير (وهي تنتمي إلى الحزب الكردي الإسلامي). وفي نينوى، جاء ذِكرُ العديد من محطات الإذاعة: الغد، القرآن إف إم 1، وراديو الشبك.
- المسيحيون أيضا لديهم مجموعة من المحطات التلفزيونية الخاصة بهم. هناك مثلا قناة الحياة التلفزيونية، وتلفزيون الكرمة، ونور سات (تيلي لوميير)، وسات-7. ووفقا لتقديرات أحد من أجريت معهم المقابلات، فإن هناك «نحو عشر محطات» تستقطب اهتمام المجتمع المسيحي في نينوى. هذه ليست سوى المحطات الأكثر نفوذا.

الحسينية

في المقابلات التي أجريت، تكرر ورود ما يفيد بأن الحسينية ازدادت أهميتها في الحياة اليومية بين الشيعة. جدير بالذكر أولا أن اسم الحسينية مشتق من اسم الحسين بن علي بن أبي طالب (توفي 680)، وهو حفيد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، الذي استشهد في معركة كربلاء لرفضه مبايعة الخليفة الأموي يزيد. في الأصل، الحسينية عبارة عن مكان لإحياء ذكرى ميلاد

واستشهاد الإمام الحسين وغيره من الأئمة. في الحسينيات، تُعقَدُ المحاضرات الدينية والشعائر والطقوس والمناسبات الاجتماعية التي يحضرها الشيعة. وقد تقام في الحسينيات الصلوات الاعتيادية، وصلاة الجنازة. وهي أيضا مكان لتلقي التعليم الديني. أما وجه الاختلاف بين الحسينية والمسجد فهو أنه نادرا ما تقام صلاة الجمعة في الحسينيات. ونادرا ما تكون للحسينية مئذنة أو قبة. في واقع الأمر أن الحسينية عبارة عن قاعة مؤتمرات كبيرة يمكن استخدامها لأغراض متعددة.

هذا، ولعل نسبة ارتياد الشيعة للحسينيات أعلى من ارتياد السنة للمساجد، وذلك بسبب كثرة الطقوس التعبدية التي يقيمونها، مثل ذكرى ميلاد الإمام الحسين وذكرى وفاته. في المقابل، فإن أبناء طائفة السنة الملتزمين يميلون إلى ارتياد المسجد لأغراض أكثر تحديدا (كالصلوات الاعتيادية وتعليم القرآن). ومع أنه من الناحية النظرية، قد يكون بإمكان كل من السنة والشيعة ارتياد نفس المسجد (فإنهم في الواقع لا يفعلون ذلك)، فالسنة لا يرتادون الحسينيات. ومع أن السنة يعترفون بمكانة الحسين وأهمية دوره، فهم لا يعتبرونه محورا لشعائرهم وطقوسهم التعبدية.

جدير بالانتباه أن زيادة أهمية الحسينية في الحياة اليومية بين الشيعة تمثل تحولا. في عهد صدام حسين، كانت بعض الطقوس والممارسات الشيعية تُعدُّ غير قانونية أو مستهجنة استهجانا شديدا. ويشمل ذلك حج الأربعين، وحج عاشوراء، ومجرد الحضور إلى الحسينية. أما في أعقاب الغزو الأمريكي، فقد ازدهرت هذه المراكز الدينية وما يُقام فيها من شعائر وطقوس تعبدية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من صعود الشيعة في البلاد الذي اتسع نطاقه. وفي المقابلات التي أجريت، ورد ذكر هذه المؤسسات مرارا. وكما قال أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو شيعي، «إن أولئك الذين يرتادون مثل هذه الأماكن هم أناسٌ أصحاب إيمان قوي».

هذا، وجدير بالبيان أن الواعظ الذي يعظ في الحسينية يسمى الخطيب. وأكثر من ورد اسمه بين الخطباء الرجال هو الزعيم الديني الشاب علي الطالقاني. ومع أنه ليس الأكثر تأثيرا بين الواعظين الذين يعظون في الحسينيات، إلا أن تأثيره يزداد بسرعة (انظر دراسة الحالة الواردة في الصفحة 38). بالإضافة لما سبق، فإن وضع النساء الفاعلات الدينيات، أي المُلَّايات، يرتبط أيضا بالحسينيات، (وهو موضوع سنتطرق له في جزء لاحق من هذا التقرير). وفي الواقع أن عددا من القنوات التلفزيونية الشيعية يَبُثُّ من الحسينيات نفسها. وهذا ما يضاعف من تأثير هذه المؤسسات ومن يعظون فيها.

الصراع الشيعي الشيعي

من الموضوعات الأخرى التي طَفت على السطح خلال المقابلات التي أجريت ضمن إطار البحث وجود صراع شيعي شيعي قائمٍ منذ فترة طويلة ولم يزل محتدما حتى اللحظة. في المقابلات التي أجريت، وردت انتقادات حادة من بعض الشيعة – وخاصة من النجف – لأتباع آية الله محمد الحسيني الشيرازي (توفي عام 2001) الذين يطلق عليهم في بعض الأحيان اسم الشيرازيون. ومع أن الشيرازيين يمثلون أقلية ضمن طائفة الشيعة في العراق، فإن من الظواهر التي تستحق الاهتمام شدة الصراع الإيديولوجي بينهم وبين التيار السائد ضمن الوسط الشيعي، وتداعيات هذا الصراع خارج العراق. الشيرازي هو سليل ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي (مواليد 1814)، وهو عالم ديني برز في عصره من مدينة كربلاء. وقد عُرِفَ عن محمد الحسيني الشيرازي نقده العلني للبعثيين. وقد غادر البلاد في عام 1971 عقب اكتشاف مؤامرة تُحاكُ لاغتياله. على أن نَفْيَهُ للخارج أسهم في انتشار الشيرازيين، وخاصة في منطقة الخليج.إن مَرَدَّ الصراع بين الشيرازيين والتيار السائد ضمن الوسط الشيعي هو التنافسُ المحتدم بين علماء النجف وأتباعهم وبين علماء كربلاء وأتباعهم. كلٌّ من المدينتين تتمتع بقداسة عند الشيعة. وبالمناسبة، فإن للشيرازيين اسما آخر، وهو «جماعة كربلاء»[42] وجدير بالذكر أن العالم الشيرازي الرئيسي الذي لم يزل على قيد الحياة هو آية الله صادق الشيرازي، وهو يقيم في قم بإيران.

يُمثل الشيرازيون اتجاها بين المسلمين الشيعة. ولدى الشيرازيين موقفٌ سلبيٌ تُجاه المؤسسات الدينية الشيعية التقليدية في العراق، لا سيما المعاهد الدينية بالنجف ومراجع النجف، أو المراجع، الذين هم بمثابة الزعامات الدينية العليا في البلاد.[43] في مقابلة مع صحيفة المونيتور، أوضح أحد مؤيدي الشيرازي أن «الشباب ينجذبون إلى الشيرازيين لأنهم يقفون في وجه المؤسسة الدينية».[44] ومن الناحية اللاهوتية، يميل الشيرازيون إلى أن يكونوا أكثر تحفظا. كما إن لدى الشيرازيين طقوسا وممارساتٍ مثيرةً للجدل مثل التطبير الذي هو عبارة عن إقدام المرء على جرح نفسه بأداة معينة وذلك ضمن سياق الحداد على استشهاد الحسين حفيد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). بعض الشيرازيين يتخذون مواقف تؤجج الصراع مع السنة، مثل اتهامهم بقتل ابنة النبي فاطمة. ويمثل ياسر الحبيب مثالا متطرفا بينهم. وقد عُرف عنه الهجوم المباشر على زوجة النبي عائشة، التي يوجه لها إهانات شتى منها وصفها بالعهر.

على أن بعض الشيرازيين ينأوْن بأنفسهم عن هذا الهجوم الذي يجري على لسان ياسر الحبيب. ويشير ذلك إلى أن الشيرازيين المقيمين في لندن لا يمثلون أو يعبرون عن قيادات الشيرازيين الذين يتخذون من مدينة قم مقرا لهم. وهناك بين الشيرازيين

الرئيس الإيراني حسن روحاني (الثاني من اليسار) خلال اجتماعه بأكبر زعيم ديني شيعي في العراق، آية الله العظمى علي السيستاني (إلى اليسار)، ويرافقه وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف (الثاني من اليمين). وقد عقد الاجتماع بالنجف في 13 مارس/آذار، 2019. (تصوير مكتب آية الله العظمى علي السيستاني من خلال أسوشيتد برس)

العديد من الزعماء البارزين. فقد كان لمحمد الشيرازي ستة أبناء أصبحوا جميعهم علماء. من بينهم محمد رضا (1959-2008)، ومرتضى (ولد في 1964)، وجعفر، ومهدي علي، ومحمد حسين. هذا، ولمحمد أخٌ شقيقٌ اسمه صادق الحسيني الشيرازي (ولد في 1942)، ويُعدُّ هو وأبناؤه من الزعامات الرئيسية. ولعل ابنيّ محمد الشيرازي، وهم آية الله العظمى محمد تقي المُدرسي وآية الله هادي المُدرسي، أكثر أفراد الأسرة تأثيرا. أخيرا، فقد لوحظ أن هناك تصاهرا بين بعض أفراد عائلة قزويني وعائلة الشيرازي. وهؤلاء الأفراد الذين ينتسبون لعائلة قزويني يمثلون جزءا من اتجاه الشيرازيين كذلك.

يرجع الصراع بين أتباع الشيرازي وأكاديميات النجف لأكثر من خمسين عاما. ويُعزَى الصراع في الأصل للتنافس بين فقهاء النجف وفقهاء كربلاء. وعلى وجه العموم، يرفض فقهاء النجف فكرة ولاية الفقيه التي تقول بوصاية الفقهاء والتي استندت إليها الثورة الإيرانية. في المقابل، نجد أنهم قد اعتنقوا مبدأ آخر، لكنه يشبه مبدأ ولاية الفقيه، وهو مبدأ حكومة الفقهاء.

ومما زاد من حدة الصراع بين الطرفين أن محمد الشيرازي لا يُكِنُّ احتراما للعديد من القواعد غير المكتوبة التي تتبناها النخب الدينية العراقية. فعلى سبيل المثال، اتخذ الشيرازي لنفسه صفة المرجع قبل أن يكون ذلك الأمر مقبولا في النجف بعشرات السنين. وبينما رآه البعض مصلحا، رآه آخرون مدعيا لم ينل قسطا كافيا من التعليم. وخلال الستينات من القرن الماضي، وضمن سياق هذا الصراع، أصدر آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي، وهو أحد علماء النجف ويعتبر معلم آية الله العظمى علي السيستاني، تهديدا للشيرازي بسحب الاعتراف بمؤهلاته كعالم. وعلى أي حال، فإن المقابلات التي أجريت توضح أن هذا الصراع لا يزال قائما اليوم.

لعل التعليق الآتي الذي ورد ضمن إجابات أحد المنتسبين للنخبة الدينية بالنجف يوضح هذه العداوة المحتدمة بين الفريقين:

> أستطيع القول بلا خوف إن نهج المرجع الشيرازي يُعدُّ سهما مُوجَّها لفكرة الدين والحس الإنساني بغية تشويههما وتدميرهما. إن الشيرازيين يمارسون طقوسا لا أصل لها في الكتب. ... إنهم أناسٌ جهلة وظلاميون.

وبناء على ذلك، فإنه بمستطاعنا القول إن المرجع الشيرازي قد أضر بالإسلام مراتٍ ومرات. إن الشيرازيين أصحاب دهاءٍ ومكر. وهم يستخدمون الدافع العاطفي لدى الإنسان في تحقيق مآربهم الإفسادية.

إن لدى الشيرازيين قدرةً على الوصول إلى العديد من القنوات التلفزيونية مثل الأنوار نيوز، والزهراء، والمهدي، ويا حسين، إلخ. بعض تلك القنوات تَبُثُّ باللغة الإنجليزية ولغات أخرى. ويستغل الشيرازيون حضورهم الإعلامي هذا في تدمير العقول على نطاق واسع. ومن خلال هذه الفضائيات يخوض الشيرازيون مواجهات صاخبة مع من يتبنى موقفا مناقضا لموقفهم من المثقفين. فإذا لم تكن مؤيدا لخط تلك القنوات، فلن يُسمح لك بالظهور فيها بغض النظر عن هويتك. الشخص الذي يحظى بأعلى نسبة مشاهدة على هذه القنوات هو مجتبى الشيرازي وأحمد الشيرازي. ولو كان السيد الصدر الأول أو الثاني موجودا، لما كان حدوث مثل هذه الأشياء مسموحا به ابتداء. لكن لابد لي من القول إن وضعنا الحالي لا يمكن أن يحتمل الصراع الداخلي الذي يحصل ضمن الطائفة نفسها، لأن ما هو موجود بالخارج فيه الكفاية. لقد أنتج هذا المرجع السلبي، أي الشيرازي، أناسا مثل ياسر الحبيب وحسن الله ياري. وقد استغل هؤلاء الأشخاص الدين لتحقيق مآربهم الشخصية، ونشروا صورة مشوهة عن الإسلام في العالم. لا يمكن للمرء الوثوق بأشخاص يطلبون من الآخرين التخلق بنكران الذات والاعتراف لأصحاب الفضل بأفضالهم، بينما هم يعيشون في ترف ولا يعرفون صعوبات الحياة ومذاقها المر معرفة حقيقية. هؤلاء الأشخاص غير جديرين بتمثيلنا، وعلينا أن نحارب نهجهم هذا.

جدير بالذكر في هذا الصدد أن عضو فريق الباحثين الذي أجرى المقابلة مع صاحب هذه الكلمات، وهو من النجف كما ذكرنا، أفاد بأنه قد شَدَّت انتباهَهُ الحدةُ التي تكلم بها محدثُهُ وهو ينتقد الشيرازي. في السطور الآتية، يصف لنا لغة جسده:

عندما كان هذا الشخص الذي أجريتُ معه المقابلة يتحدث عن المرجع الشيرازي، امتلأ غضبا، وكلما تكلم ارتفع صوته. كان يرفع يديه ويخفضهما باستمرار. وقد ضرب مكتبه براحة يده. وكلما فعل شيئا من ذلك اعتذر. وكلما ورد اسم (ياسر الحبيب)، بدا وكأنه يوشك أن يكتسي بالاشمئزاز. بدا كالشخص المجروح. كان يَهُزُّ رأسه معبرا عن الضيق خاصة عندما قال إن ذلك يعتبر انتكاسة على مستوى القيم. غير أنه هدأ لبعض الوقت، ثم سحب سيجارة وقال: «هذه السيجارة سوف تسحب مني ألما عميقا».

هذا، وتضم قائمة القادة الدينيين الآخرين الذين ينتسبون لمدرسة الشيرازي، والذين ورد ذكرهم في المقابلات التي أجريت، عبد الحميد المهاجر، محمد الغالي، وحسن الله ياري، وياسر الحبيب. على أن ذكرهم قد ورد باعتبارهم أصحاب تأثير سلبي في مسيرة السلام، وذلك غالبا في المقابلات التي أجريت مع أشخاص من النجف. أما خارج النجف، فلم يرد ذكرهم باعتبارهم أصحاب تأثير خاص (ولهذا لم يتناولهم التقرير بالتفصيل). على سبيل المثال، لقد ورد ذكر بعض هؤلاء القادة الدينيين باعتبارهم «مراجع يعتمد وجودهم نفسه على زعزعة استقرار المجتمع، وباعتبارهم يحاولون خداع الناس للمحافظة على سلطتهم المعنوية.»

إن الشيرازيين يتمتعون بفعالية عالية للغاية في وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا ما يجعل قياس مستوى تأثيرهم في الجمهور مهمة صعبة، إذ إنهم على حد تعبير لورنس لور، «يستعيضون [عن قلة عدد أتباعهم بالمقارنة بعلماء النجف] بحضور إعلامي واسع النطاق يتيح لهم أن يظهروا في أعين الناس باعتبارهم أصحاب وزن لا يتناسب مع وزنهم الذي يخولهم إياه الحجم الحقيقي لجمهورهم».[45] إن براعة أداء الشيرازيين في وسائل التواصل الاجتماعي تستند إلى إتقانهم توظيف وسائل الإعلام التقليدية كالتلفزيون. جدير بالذكر في هذا الشأن أن قناة الأنوار، التي يُعدُّ محمد الشيرازي أول من فكر في تأسيسها قبل وفاته، كانت أول محطة تلفزيونية مرتبطة بمرجع من مراجع الشيعة.

إن هناك عددا من الأشخاص الذين ينتمون لتيار الشيرازيين ممن لديهم تأثير كبير في وسائل التواصل الاجتماعي. يأتي على رأس القائمة باسم الكربلائي، وهو منشد ورادود شيعي يحظى بشعبية كبيرة. ويأتي بعده في الترتيب آية الله هادي المُدرسي، الذي يُعدُّ ثاني أبرز فاعل ديني في العراق من حيث التأثير من خلال تويتر إذ يبلغ عدد متابعيه خمسمائة ألف. لقد تسنى لإحدى القنوات التي كانت تَبُثُّ عبر موقع يوتيوب مواد مرئية خاصة بالشيرازيين أن تتمتع بتأثير يفوق تأثير أي قناة دينية أخرى في العراق. فقد اشترك فيها نحو 154,000 مشترك. كما حظيت بنحو خمسة وخمسين مليون مشاهدة. على أن الحساب الخاص بتلك القناة قد أُلغي في أوائل عام 2019. فضلا عن ذلك، فإن قناة يوتيوب التي تأتي في المرتبة الثانية من حيث الشعبية، وهي كربلاء TV، هي أيضا ترتبط بالتيار الشيرازي. كذلك، فإن القناة التي تحتل المركز الثالث من حيث الشعبية هي تلفزيون أهل البيت، ومقرها في لندن. وقد بلغ عدد المشتركين فيها نحو 103,000 مشترك. كما حظيت بثمانية عشر مليون مشاهدة (اعتبارا من أوائل عام 2019)، وهي المحطة التي من خلالها يتواصل تيار الشيرازيين مع الجمهور الناطق بالإنجليزية. مقر تلفزيون آل البيت في لندن.

والأرجح أن هناك سببين لأداء الشيرازيين الجيد عبر وسائل التواصل الاجتماعي. أما السبب الأول فهو أن اللغة الأكثر صرامة أداة فعالة لزيادة عدد متابعي وسائل التواصل الاجتماعي. وقد عُرف عن الشيرازيين استخدام لغة صارمة.[46] أما السبب الثاني فهو أن معاهد النجف الدينية، ونظرا لكونها أكثر المؤسسات الدينية تأثيرا في العراق، لا تستشعر نفس القدر من الحاجة لمنافسة غيرها على التأثير في وسائل التواصل الاجتماعي كما يستشعر ذلك الشيرازيون. ومع أن القادة الدينيين بالنجف لم

في العراق، الأشخاص الذين يمكن اعتبارهم ملحدين حقيقيين نادرون. كان الإلحاد أكثر انتشارا خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي. وعندما يجاهر شخصٌ بأفكار إلحادية، فإن المجتمع ينبذه. ومع أن الدستور العراقي تقنيا يكرس حرية الاعتقاد، إلا أن الملحدين يرون أن الإفصاح للغير عن معتقداتهم يعرضهم للخطر. وقد يواجهون تهديدات تطال أمنهم الإنساني إذا هم فعلوا ذلك.

يتركوا الملعب بالكامل، فإن أولئك الذين يتابعون مراجع النجف لا يبذلون نفس القدر من الجهد لنشر أطروحاتهم أو كتاباتهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي. هذا، ومع أن التحليلات المنصبة على الحضور في وسائل التواصل الاجتماعي قد تبالغ في تقدير مستوى تأثير الشيرازيين، فإن النتائج التي توصل إليها هذا التقرير – والتي منها أن العراقيين يتجهون على نحو متزايد إلى مصادر الإنترنت للحصول على التوجيه والإرشاد الديني – توضح أن الجهات الأكثر تنظيما عبر الإنترنت سيزداد تأثيرها بمرور الوقت.

في الوقت نفسه، لوحظ أن عددا ممن أجريت معهم المقابلات قد ذكروا أنهم يشاهدون المحطات التلفزيونية المرتبطة بالشيرازيين، لكنهم في الوقت نفسه لا يزالون يذكرون آية الله العظمى السيستاني أو مراجع أخرى باعتبارهم الجهات التي يقصدونها للحصول على التوجيه والإرشاد. ولعل هذا الأمر يبين أن العديد من العراقيين لا يشعرون أن عليهم الاصطفاف إلى جانب أي من طرفي هذا الصراع.

الإيمان والعلمانية والإلحاد

بالإضافة لجميع ما سبق، أفصحت المقابلات التي أجريت عن اتجاها آخر يتمثل في زيادة عدد العراقيين الذين لديهم شيء من الشك على مستوى الدين، أو الذين يُعرِّفون أنفسهم بأنهم ليس لديهم هوية دينية، أو الذين يُعرّفون أنفسهم بأنهم علمانيون.[47] ويلقي معظم الذين ذكروا ذلك باللوم على تصرفات تنظيم داعش باعتبارها السبب في تشكيك الناس في عقيدتهم. يوضح أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو رجل كاثوليكي من بغداد قائلا:

> «إن نحو 7 بالمائة من العراقيين قد تحولوا إلى الإلحاد وفقا لأحد التقارير ... وهؤلاء لديهم شك في قيم الدين في الوقت الراهن. لقد بدأ الناس في التساؤل عن مدى إمكانية أن يدفع الدين المرء للقتل والسرقة، وما إلى ذلك خصوصا بعد صعود داعش والأفكار التي روجتها».

ومع أننا لم يتسن لنا العثور على التقرير الذي استشهد به ذلك الشخص، فقد لاحظنا أن العديد من الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات ذكروا أن الساحة شهدت بروز موجة إلحاد، أو لعله ارتحالٌ نحو العلمانية، أو لعله أزمة إيمان. إن عدم الاعتقاد الديني أمرٌ مثيرٌ للجدل في العراق لأن الكثير من العراقيين يفهمون أن الإسلام ذو طبيعة سياسية في جوهره.[48]

إحدى من أجريت معهن المقابلات، وهي سيدة مسلمة من بغداد، رأت أن هذه الظاهرة زادت بين الشباب إلى حد كبير: «هناك عدد كبير من الشباب ينتقلون إلى الإلحاد، أو يغيرون دينهم، أو يُخفون انتماءهم لطوائفهم كرد فعل على ما يحدث في محيطهم».

في العراق، الأشخاص الذين يمكن اعتبارهم ملحدين حقيقيين نادرون. كان الألحاد أكثر انتشارا خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي. وعندما يُقْدِمُ شخصٌ ما على الإفصاح علنا عن إلحاده، فإن المجتمع ينبذه. ومع أن الدستور العراقي تقنيا يكرس حرية الاعتقاد، إلا أن الأشخاص الملحدين يرون أن الإفصاح للغير عن معتقداتهم يعرضهم للخطر. وقد يواجهون تهديدات تطال أمنهم الإنساني إذا هم فعلوا ذلك. في يناير/ كانون الثاني 2018، نشرت مجلة أتلانتيك قضية شابة عراقية تبنت الإلحاد علنا، وهي لبنى أحمد ياسين. في نهاية المطاف، اضطرت لبنى لمغادرة العراق بسبب ضخامة التهديدات بالقتل التي تلقتها.[49] إن قضية هذه الشابة العراقية تشير إلى وجود تمييز اجتماعي واضطهاد ضد الملحدين حتى في ظل وجود حماية قانونية.

وقد لاحظنا أنه لم يُعرِّف أي شخص ممن أجريت معهم المقابلات نفسه بأنه ملحد. كان هناك شخص في كركوك ذكر في إجاباته أن الإلحاد «مدرسة فكرية» موجودة في مدينته. كما ورد في إجابات شخص من محافظة الأنبار تعليق مشابه. وهناك صفحة للملحدين العراقيين على فيسبوك تتسم بقدر من النشاط. البعض الآخر يتبنون مصطلح العلمانية ضمن سياق تعريف أنفسهم بأنهم يمارسون ممارسات غير عقائدية أو أنهم لاأدريون (لا يؤمن ولا ينكر وجود ذات إلهية). إحدى من أجريت معهن المقابلات، وهي سيدة في بغداد، عرَّفت نفسها بأنها مسلمة علمانية. هذا الأمر يوضحه أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو رجل مسلم من كركوك، قائلا: «على وجه العموم، غالبا ما يتبنى الناس العلمانية بدلا من الدين». هناك أشخاص آخرون لا يرون أن هناك تناقضا في اعتناق الدين والعلمانية في آن واحد. وكما قال رجل من كركوك ممن أجريت معهم المقابلات، «أنا مسلم أؤمن بالإسلام كدين وأؤمن بالله وبالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم). أعتقد أن الإسلام دين سلام. أنا شخصيا أؤمن بالعلمانية».

مع ذلك، تشير المقابلات إلى أن الإلحاد يتزايد في جميع أنحاء العراق وفي نينوى على وجه الخصوص. يوضح ذلك أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو رجل كردي أيزيدي يبلغ من العمر 46 عاما من دُهوك: «لقد بلغ الإلحاد وكراهية الدين أعلى مستوياته بين جميع الطوائف بالعراق. وأنا أعرف أن الملحدين في محافظة نينوى بدأوا في تنظيم أنفسهم في مجموعات، ويعقدون اللقاءات، ويناقشون الكثير من الموضوعات في مجالات مختلفة». هذا الكلام يوافقه كلام إحدى من أجريت معهن المقابلات، وهي سيدة شيعية تركمانية في الثالثة والثلاثين من العمر. تقول: «لقد بدأ الإلحاد ينتشر في الموصل». ذكرت السيدة أن هناك الآلاف من الملحدين يعيشون في الموصل، لكنهم لا يُعَرِّفون أنفسهم بأنهم ملحدون، لا سيما في ضوء الأثر الذي خلفه صعود داعش في المدينة. يوافق على ذلك شخصٌ آخر ممن أجريت معهم المقابلات، وهو رجل مسيحي يعمل بالموصل إذ يقول: «هناك أيضا أفكار إلحادية بدأت تنتشر كرد فعل على صعود داعش». ومع أنه ليس هناك بين من أجريت معهم المقابلات من يُعَرِّفُ نفسَهُ علنا بأنه ملحد، فقد أفاد أحد الشباب، وهو في السابعة والعشرين من العمر، وينتمي لطائفة السنة العرب (وهو يضحك)، «أنا شخصيا ابتعدت عن الدين». كما قال في القسم اللاحق من المقابلة: «ليس لديَّ هويةٌ دينية». هذه الإفادات تعبر عن الصيغ التعبيرية المُلَطَّفة أو المُخففة التي تُتداول اليوم ويستخدمها الملحدون، والعلمانيون، واللاأدريون. وعلى عكس ما هو متوقع، توضح لهجة هذا الشاب أنه لا يستشعر خوفا من التعبير عن معتقداته. ولعل هذا الشاب يمثل استثناءً من حيث الصراحة التي يكتسي بها كلامُهُ عند تطرقهِ إلى عدم إيمانه. فالسلوك الأكثر شيوعا بين الملحدين هو الادعاء بمعرفة أشخاص آخرين أصبحوا ملحدين، وليس الاعتراف بالإلحاد.

هذا ويبدو كذلك أن الإلحاد أخذ ينتشر بين مسيحيي العراق. إحدى من أجريت معهن المقابلات، وهي سيدة كلدانية تبلغ من العمر 58 عاما من نينوى شرحت كيف أن عددا كبيرا من المسيحيين، لا سيما الرجال، أخذوا يتركون الإيمان («يبتعدون عن الله»). وقد أوضحت أن أبناء الطائفة المسيحية يثور في وجدانهم السؤال: كيف أذن الله لهذه الفاجعة أن تصيبهم. سيدة أخرى مسيحية من نينوى قالت إن تناقص عدد من يرتادون الكنيسة يوم الأحد يؤيد الدعوى التي مفادها أن الناس أخذوا يتركون الإيمان.

ظهر انقسامٌ في الآراء حول مدى استحسان هذا التطور. بعض من أجريت معهم المقابلات ممن يُعَرِّفون أنفسهم بأنهم علمانيون عبروا عن أنهم شعروا بقدر من الارتياح وبحرية التحرك نتيجة تراجع تدين المجتمع. أما البعض الآخر فقد أعرب عن قلقه وتخوفه إزاء تأثير هذا التطور على المدى البعيد بالنظر إلى أن هناك فئات أخرى في المجتمع أصبحت أكثر تدينا. يعلق على ذلك أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو شيعي من الشبك، ويبلغ من العمر 51 عاما بقوله: «برزت موجة من الإلحاد وبرزت الفئات غير الدينية. أعتقد أن الملحدين واللادينيين يمثلون خطرا كبيرا على المجتمع في الموصل، وهو مجتمعٌ عُرف عنهُ أنه مجتمعٌ محافظ». يعلق الباحث الذي أجرى المقابلة على ذلك بقوله: «لقد ظهر على الشخص الذي أجريتُ معه المقابلة قدرٌ من التردد خلال إجابته عن الأسئلة. بدا كما لو أنه لا يريد أن يقول ما قال».

كثيرٌ من الذين يطالبون بالعلمانية لا يقبلون الإلحاد. في هذا الصدد علق شخصٌ آخر ممن أجريتُ معهم المقابلات، وهو رجل مسيحي يبلغ من العمر 53 عاما، وهو من الموصل، فقال إنه رغم رفضه الإلحاد، فهو يطالب بالعلمانية مطالبة قوية باعتبارها «الحل الوحيد» لمشاكل العراق (المقصود بالعلمانية هنا الفصل القانوني والبيروقراطي بين الدولة والسلطة الدينية).

إن الإلحاد لا ينتشر فقط عضويا في المنطقة. فوفقا لما أفاد به عددٌ ممن أجريت معهم المقابلات، يستخدم الملحدون وسائل التواصل الاجتماعي (تحديدا فيسبوك) لمتابعة المتحولين إلى الإلحاد المحتملين لحثهم على ترك الدين. كما أن الملحدين يحاولون وبنشاط تحويل الناس إلى الإلحاد من خلال العلاقات الشخصية. شخص سني أقر أن شقيقه ضغط عليه للتحول للإلحاد، كما انتقده لأدائه الصلاة والصوم.

عدد كبير ممن أجريت معهم المقابلات ذكروا أن هناك رد فعلٍ عنيفا ضد الملحدين، لكنهم لم يبدوا استعدادا لتقديم أي تفاصيل حول هذا الموضوع. في هذا الشأن يُعلق شخص آخر ممن أجريت معهم المقابلات، وهو رجل سني من الموصل بلغ من العمر ثمانية وثلاثين سنة بقوله: «إنني أسمع عن الكثير من الملحدين، لكن المجتمع يحاربهم بشدة لأنهم يسيئون لاسم الله، وهذا في الموصل خط أحمر للغالبية». لعل هذه الكلمات تعبر عن وصمة العار التي تلحق بأولئك الذين اختاروا عدم الإيمان في المنطقة. ولعلها تبين أن هناك حاجة إلى مزيد من الحماية لغير المؤمنين.

الشيعة المترددون

هناك اتجاهٌ آخر يمكن تسميته التشيع المتردد. الشيعة المترددون عبارة عن مجموعة من العراقيين يَجمعون بين الانتماء للتشيع ثقافيا وبين انتقادهم الحاد للطائفة، وتطلعهم لمجتمع أكثر انفتاحا وأحيانا أكثر ليبرالية. ظهر هذا الاتجاه بقوة في المقابلات التي أجريت في النجف. تعلق إحدى من أجريت معهن المقابلات، وهي سيدة تبلغ من العمر 31 عاما من النجف، بقولها: «أنا مسلمة

وَفقا لرجل شيعي من النجف: «في العراق، بسبب علو الموجة الشيعية هنا، لدينا شعور بأن حرياتنا تتعرض لشيء من القمع. أي شخص يجرؤ على مخالفة أو انتقاد أمرٍ معين ينتهي به المطاف بأن يُحارَب ويُتهم بأنه علماني، كما لو كانت العلمانية جريمة».

شيعية ... ولكن ليس وَفقا للمنظور الحالي للتشيع. إن التشدد والتطرف الذي انتشر قد فتح ذهني وجعلني أشعر أنني لا أنتمي إلى هذا المجتمع ولكن لمجتمع أكثر مرونة واعتدالا».

شيعيٌ آخر يقيم في النجف قال إنه ليس ملتزما بالشعائر التزاما «عميقا». وقد عبر عن أن هناك ارتباطا جزئيا بين مقاومته للتدين وزيادة التدين في مدينته الأم:

> خلال السنوات القليلة الماضية، تغير المشهد الديني في النجف. فعلى سبيل المثال، كثير من الناس يعتريهم حاليا قدرٌ من التردد لأنه لا يوجد أي تنوع ... وبالنظر إلى أن المدينة مدينةٌ مغلقةٌ للغاية، فإننا نرى ذلك في المساجد والشوارع والسيارات؛ كل شيء يسير في اتجاه واحد. هذا بالإضافة إلى تعليق الملصقات وصور الشخصيات الدينية في كل مكان. كل ذلك يجعل الناس هنا يشعرون بأنهم يتعرضون لقدر من القمع. أعتقد أنه من المهم أن يكون المجتمع متنوعا وأن يتضمن مستويات مختلفة. لعل الناس يحتاجون إلى سماع الأغاني أو الموسيقى التي هي غير مسموح بها هنا. حتى الإعلانات التجارية تعتبر مسيئة إلى قداسة المدينة. في المقابل، فإن المرء يرى بأم عينيه أن هناك قدرا أكبر من الحرية وضغطا أقل على المجتمع في بلدان أخرى ينتشر فيها التدين وتعتبر بلدانا إسلامية، وفيها أغلبية شيعية، مثل لبنان وإيران. أما في العراق، فبسبب علو الموجة الشيعية هنا، فإن لدينا شعورا بأن حرياتنا تتعرض لشيء من القمع. أي شخص يجرؤ على مخالفة أو انتقاد أمرٍ معين ينتهي به المطاف بأن يُحارَب ويُتهم بأنه علماني، كما لو كانت العلمانية جريمة. إنني أشعر بالضغوط نفسها أيضا. لا يوجد تنوع في محطاتنا الإعلامية المحلية. كل ما يُبثُّ هو الخطب والبرامج الدينية، وفي بعض الأحيان الأخبار.

يتفق مع هذا الرأي شيعيٌ آخر، فيقول: «لا يُوجدُ تنوعٌ في النجف، لا يوجد سوى التشدد الشيعي. وهناك جهة واحدة تنشر الخطاب المعبر عن هذا التشدد الديني وهي الأحزاب الدينية. على أنني أرى أن هذا التشدد الديني أبعد ما يكون عن الأفكار الشيعية الحقيقية». في واقع الأمر، يبدو أن هذا التردد الذي أخذ يبرز بين أوساط الشيعة ينبع من نفس خيبة الأمل التي برزت في المجتمع والتي كانت وراء زيادة الإلحاد. لقد نقل لنا الباحث الذي أجرى المقابلات في النجف إفادة قريبة بعض الشيء من هذه الإفادة لشخص آخر بدا على لغة جسدهِ تحولٌ عندما طُرِحَ عليه السؤال الخامس الذي مفاده [الاستفسار عما إذا كانت هناك ثقة بين القادة الدينيين وطوائفهم]. بدت على الرجل علامات الضيق والحزن وقال بنبرة حزينة، "لماذا نحن مسلمون؟"»

انتشار الطوائف الشيعية الصغيرة

تسنى لنا رصد عدد من الطوائف الشيعية الصغيرة في محافظة ديالي، مثل العلويين، والشيخية، وحركة الداعي الرباني. إن صعود الداعي الرباني يعكس اتجاها وطنيا أوسع نطاقا يتمثل في زيادة العضوية في المنظمات الدينية التي تضم سنة وشيعة. ويعكس هذا الاتجاه تطلعا لدى العديد من العراقيين مفاده أن تصبح الطوائف أقل تأثيرا في الحياة الدينية في البلاد. هذا التطلع والدينامية التي يعبر عنها يعكسهما أيضا صعود الطريقة الكسنزانية، وهي طريقة صوفية سيأتي ذكرها لاحقا.

يوجد أيضا، خاصة في ديالي، عددٌ من أتباع «ولاية الفقيه»، وهي الفكرة التي تمثل الأساس الديني لنظام الحكم الإيراني. على أن ولاية الفقيه تتمتع بشعبية في نينوى أيضا، ويرى البعض أن زيادة عدد أتباعها تشير إلى نفوذ إيراني. أما العلويون فيمثلون اتجاها شيعيا يتركز في منطقة خانقين في ديالي بين الأكراد. العلويون متهمون بالمبالغة في تقديس الإمام علي. وعليه فإن معظم الشيعة والسنة لا يقبلونهم. ويقع المقر الرئيسي للمجموعة في جنوب تركيا في منطقة ديار بكر.

أما حركة الشيخية فهي حركة برزت ضمن أوساط الشيعة الاثني عشر تعتمد منهجية محددة يعبر عنها الشعار الذي تتبناه وهو: «نقول ما قاله محمد، ونتبع دين آل بيت محمد». ظهرت الحركة منذ نحو 250 عاما. مؤسس الحركة هو الشيخ أحمد بن زين العابدين الأحسائي. وهو من منطقة الأحساء بالمملكة العربية السعودية. يُعدُّ آغا زين العابدين بن عبد الرضا الإبراهيمي السلطة الدينية العليا في الحركة. وهو يقيم حاليا في إيران، وتحديدا في مدينة كرمان. أما في العراق، فإن المتولي عبد الله علي زين العابدين الموسوي هو السلطة الدينية العليا في الحركة. ويمثل الموسوي حلقة الوصل بين الحركة في العراق وبين إيران. وهو يرفع تقاريره إلى رئيسه في إيران. وفي ديالي، تتركز الحركة في حي المقدادية ومنطقة الخالص. وقد قَدَّرَ أحد أعضاء المجموعة تعداد أعضاء الحركة في ديالي بنحو خمسة عشر ألف عضو. (لم يتسن لنا التحقق من صحة هذا الرقم.) وتضم الحركة عضوا واحدا على الأقل في مجلس المقاطعة.

أما حركة الداعي الرباني، فهي حركة شيعية تأسست حديثا وشدت إليها الأنظار لأنها أنشأت حزبا سياسيا يحمل نفس الاسم، وشاركت في الانتخابات البرلمانية لعامي 2014 و2018. ووفقا لأحد قادة الحركة، فقد أُسس الحزب للمساعدة في نشر أفكار الحركة. ويقع

مكتبها في وسط بعقوبة بحي الخالص. لا تحظى أطروحات الحركة بتأييد رأس المؤسسة الدينية الشيعية. ولذلك، فإن الكثير من الجهات والأفراد الذين ينتسبون للتيار السائد في الوسط الشيعي لديهم علامات استفهام تجاه الحركة. ولعل حداثة المجموعة أسهمت في جعل الشكوك تحوم حولها. على حد تعبير شخص ممن أجريت معهم المقابلات، «عموما، الشيعة لا يؤيدون ظهور حركات دينية جديدة على هذا النحو إذ إن ذلك يؤدي إلى انقسام الطائفة». على الضفة الأخرى، يقول فاضل عبد الحسين المرصومي، مؤسس الحركة، إنه لا يجوز لأي طائفة أن تدعي أنها هي التعبير الحقيقي الوحيد عن الدين. هذا، وقد لوحظ أن عددا من السنة قد انضموا إلى الحركة. شعار الحركة هو «نحو عيش مشترك، بإسلام واحد، ودين واحد، اهتداء بالنور الحنفي، الإبراهيمي، المحمدي، وآل بيت الرباني اليوم».

التصوف الصاعد

خلال الفترة التي سيطر فيها تنظيم داعش، تعرض الصوفية للقمع، وخاصة في مدينة الموصل. أقدم تنظيم داعش على إعدام الصوفيين الذين رفضوا التخلي عن ممارساتهم. كما صادر التنظيم التَّكايا التي كانت بمثابة مقرات للصوفية يعقدون فيها مجالسهم. كما أضرموا النار في كتبهم، ودمروا الأضرحة المقدسة. ولذلك، غادر أغلب الصوفية المدينة. أما قبل سيطرة داعش، فقد وُجِدَ في الموصل ما يناهز مائة من التكايا الصوفية. على أنه لم يتبق من هذه التكايا سوى النزر اليسير. ومنذ استعادة المدينة من يد تنظيم داعش، بدأ الناس يتكلمون بحرية أكبر عن التصوف. أدى ذلك إلى ما يعتبره البعض انبعاثا لهذا التوجه. وفي هذا الصدد برزت الطريقة الكسنزانية. وهي طريقة صوفية أسسها محمد عبد الكريم الكسنزاني، ويتزعمها حاليا ابنه نهرو كسنزاني.

فضلا عما شهدته الساحة من زيادة في عدد المنتسبين للطرق الصوفية، فقد شهدت أيضا جهودا لإعادة بناء التكايا أو تأسيس تكايا جديدة عوضا عن التي دمرت. مثلا، في الموصل أُسست تكية علي الكسنزاني. وفيها تُعقد مجالس الطريقة الكسنزانية.[50] في هذا الصدد يعلق رجل سني من الموصل ممن أجريت معهم المقابلات قائلا: «أخذ النشاط الصوفي يزداد [في الموصل]، خاصة طريقة الصراط المستقيم الكسنزانية وهي طريقة صوفية يقودها الشيخ نهرو. ويبدو أن عدد المنتسبين للطريقة الكسنزانية يزداد في بغداد.[51] أيضا، لوحظ أن عدد المنتسبين للطريقة في كردستان يزداد أيضا. أما الشيخ نهرو، فهو شخصية كردية من السليمانية. أحد من أجريت معهم المقابلات قال إن طبيعة الطريقة الكسنزانية باعتبارها جهة غير سياسية أسهم في رفع مستوى شعبيتها في المنطقة. كما قال: إن الطريقة «انتشرت بسرعة» بعد الهزيمة العسكرية التي لحقت بداعش. كما ذكر الطريقة النقشبندية باعتبارها طريقة مهمة في المنطقة. في هذا الصدد، علق رجل شيعي من طائفة الشبك من الموصل قائلا إنه مع أن الثقة فُقدت بين القادة الدينيين السنة وبين أبناء الطائفة، فإن «المجتمع اليوم بدأ يستعيد الثقة في الطرق الصوفية وتوجهاتها». هذا، وقد ورد في الإجابات ما يفيد أن الاتجاه المتمثل في صعود الصوفية ظهر في السليمانية أيضا حيث تنتشر الطرق المذكورة.

لوحظ أن أبناء الطوائف التي تعتبر من الأقليات حريصون على انتشار الصوفية، لأنهم يرون في التصوف توجها يُرجَّحُ أن يضمن لهم أمنهم وسلامتهم، كما يضمن لهم عدم التدخل في شؤونهم. قد يكون هذا الاعتقاد ناتجا عن انتشار انطباع عام على نطاق واسع مفاده أن الصوفية لا يعتنقون العنف أبدا (مع ملاحظة أن هذا الانطباع غير دقيق). مثلا، في هذا الصدد، أفاد شخص ممن أجريت معهم المقابلات، وهو رجل كاكائي يبلغ من العمر 61 عاما:

> لأن المتصوفين لا يتدخلون في أي شيء لا يعنيهم. كما أنهم لا يختلقون العداوات مع مكونات المجتمع الأخرى. وعليه، فإنني أرى في الفكرة التي مفادها أن نصبح صوفيين حلا لجميع المشكلات والطائفية في العراق على وجه العموم وفي الموصل على وجه الخصوص.

لعل هذه الكلمات تسلط الضوء على أن البعض يرى في انتشار التصوف نوعا من العلاج لجميع مشاكل المجتمع. على أنه ينبغي لصناع السياسات وبناة السلام أن يدركوا أن كل طريقة صوفية لديها مبادئها الخاصة المتعلقة بالعنف وبالسلام وبالمصالحة، ولابد من التحقق من المبادئ التي تتبناها كل طريقة قبل الشروع في بناء شراكة معها.

دور المرأة

على وجه التقريب، لاحظ جميع من أجريت معهم المقابلات أن النساء الفاعلات الدينيات غائبات أو شبه غائبات عن المشهد في العراق. وصل الأمر إلى حد أن أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو رجل ينتمي للطائفة السنية من الموصل، ويبلغ من العمر واحد وأربعين سنة، قرر أنه لا يمكن الفصل بين العديد من المشكلات الحالية في البلاد، وبين غياب النساء في المجال الديني. هذا ما قاله: «فلنكن صريحين: إذا كانت لدينا شخصيات (دينية) نسائية معتدلة، فسيكون الوضع أفضل كثيرا. ومع ذلك، لا توجد شخصيات نسائية لديها إسهامات في هذا المجال الذي لم يزل خاضعا لسيطرة الرجال». هذا التعليق يشير إلى أن هناك حاجة حقيقية لمزيد من مشاركة الزعامات الدينية النسائية في حل مشاكل البلد، على أنه لا يخلو من مبالغة فيما يتصل بتقدير حجم هيمنة الرجال على القطاع الديني. فبالإمكان ملاحظة وجود عدد من النساء الفاعلات الدينيات في جميع الطوائف الدينية. لكن في كثير

أيزيديون عراقيون يشعلون الشموع ومشاعل البارافين خلال احتفال أقيم للاحتفاء بالسنة الايزيدية الجديدة، في 16 أبريل/نيسان، 2019، في معبد لاليش في إقليم كردستان بالعراق. (تصوير آري جلال/رويترز)

من الأحيان يقتصر نطاق تأثيرهن على شريحة النساء، وفي عدد من أبناء كل طائفة أقل من العدد الذي يؤثر فيه نظراؤهن الذكور.

ضمن أوساط الأقليات الدينية تلعب النساء مجموعة متنوعة من الأدوار. في الطائفة الايزيدية، هناك أسمار إسماعيل، وهي شيخة، أي إنها عضوة في طبقة الشيوخ، وتقود أداء الطقوس الدينية. وهناك عشرات الشيخات الأخريات في الطائفة. أما في طائفة الصابئة المندائيين، فهناك مثلا أمل عسكر، وهي معروفة بإسهاماتها في ترجمة المندي، وهو الكتاب المقدس لدى الطائفة.

أما في الساحة المسيحية، فقد خلت الإجابات من ذِكرُ نساء قائدات دينيات على المستوى المحلي.[52] على أنه ورد في الإجابات ذِكر تأثير الأخت كاتيا، وهي سيدة لبنانية مسيحية تقدم برامج تلفزيونية دينية عبر قناة الحياة. كما ورد ذكر «نانسي»، وهي مقدمة برامج دينية إنجيلية. والأرجح أن المقصود هي نانسي ستافورد التي تعظ عبر شبكة سات – 7. أما على مستوى الفاعلين الدينيين الرجال الذين لديهم تأثير في شريحة النساء، فقد ورد ذكر الأب آرام راميل هامل باعتباره صاحب تأثير بين النساء المسيحيات في سهول نينوى.

أما بين الشيعة، فقد ورد في إجابات الكثير ممن أجريت معهم مقابلات ما يشير إلى الأهمية المتزايدة التي أخذت تكتسبها النساء اللاتي يمارسن دور المُلَّاية. وكما أوضح أحد المجيبين، المُلَّايات هن «نساءٌ يضطلعن بتلاوة القرآن وإلقاء المواعظ الدينية في الجنائز وطقوس الحداد الأخرى». على أن هؤلاء النساء يمارسن هذه الأدوار في أطر مقصورة على النساء، سواء في العراق أو في تجمعات الشتات العراقي. يتابع الشخص قائلا: «أنا لا أؤيد هذه الظاهرة لأنها تمثل نقطة تحول خطيرة على مختلف المستويات. إنه شيء خطير أن يتحول المجتمع نحو الدين في كل اتجاه». بتعبير آخر، إن الرجل يخشى أن يكون التأثير المتزايد لهؤلاء النساء دليلا على زيادة التدين. ويبدو أن المقاومة التي أبداها لدور المُلَّاية مرتبطةٌ برغبته في أن يكون العراقيون أقل ارتباطا بهويتهم الدينية، أكثر مما هو مرتبط بالنقمة على الزعامات النسائية عموما.

أشخاص آخرون ممن أجريت معهم المقابلات ذكروا أن تأثير المُلَّايات قد زاد مع وصول داعش. وعلى الأرجح، حصل ذلك بسبب الزيادة الكبيرة في عدد الجنازات أو طقوس الحداد التي تشارك المُلايات خلالها في التلاوة وإلقاء المواعظ. جدير بالملاحظة أن أدوار المُلَّايات لا تقتصر على الإنشاد. إن أدوارهن تشمل إسقاط أحداث التاريخ الإسلامي المهمة على واقع الناس في حياتهم الفردية العادية. كما تُقَدِّمُ المُلَّايات المشورة والنصيحة للنساء. وعليه، فإن أهمية دور المُلَّاية لا تقتصر على أنه يتيح للنساء مكانة تسمح لهن بالتأثير الديني في المجتمع، بل تشمل أيضا إتاحة الفرصة للنساء لإيجاد امرأة مثلهن يمكنهن سؤالها النصيحة بشأن الأمور الدينية. على حد تعبير الباحثة طيبة حسن آل خليفة شريف، «المُلَّاية تسرد التاريخ وتعيد بناءه وتعيش الماضي باعتباره سردية مقدسة. ... إن المُلَّاية بأدائها الذي يهز الوجدان هزا يطلق العنان للمشاعر المكبوتة، وتسمح لجمهورها من النساء بإعادة الاتصال بأعمق مستويات وعيهن.[53]

هذا، وهناك نساءٌ أخريات برزن يملن للاضطلاع بأدوار رسمية. هناك مثلا سميرة الزبيدي، وهي شخصية دينية تحظى بشعبية في التيار الصدري الشيعي، خاصة في محافظة ديالي. وهي معروفة كعضوة في مجلس المحافظة، وهو منصب شغلته منذ عام 2014. وكما هو الحال بالنسبة للعديد من الشخصيات الذكورية، فإن موقع سميرة الزبيدي الرسمي يعزز دورها كقائدة دينية. وهي تلقي الخطب والوعظ في حسينية محلية ترتادها النساء. وقد اعتبرت صاحبة تأثير لا سيما في ضوء دعمها الصريح لقضايا المرأة. بمعنى آخر، إن تأثيرها لا ينبع فحسب من هويتها كامرأة، بل ينبع أيضا من استعدادها لتمثيل النساء والدفاع عن قضاياهن في الدوائر الدينية والسياسية على حد سواء.

الصراع على الطعام

أفاد العديد ممن أجريت معهم المقابلات، ممن ينتمون إلى الأقليات في الساحة العراقية، بأن المستهلكين المحتملين من المسلمين يرفضون شراء الطعام الذي يصنعونه أو يجهزونه، حتى لو كانت اللحوم حلالا. طفت هذه المسألة على السطح في جميع أنحاء شمال العراق. وظهرت في المقابلات التي أجريت في نينوى والسليمانية ودهوك وأربيل. كل من السنة والشيعة في الشمال يرفضون تناول الطعام أو شراء الطعام من طائفة الايزيديين والكاكائيين واليارسانيين (أهل الحق)، مما يؤثر سلبا في أعمالهم. أحد الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات ذكر أن هذه الديناميات تؤثر أيضا في العلاقات بين الطوائف الإسلامية. وهو يوضح ذلك بقوله: «إن المسلمين الصوفيين لا يصلون خلف السلفيين؛ وكلا الفريقين لا يأكل طعام الآخر، ولا يخالطون المسيحيين.»

إن الصراع الغذائي يعكس انعدام الثقة بين الطوائف الدينية، كما أنه يشجع على المزيد من الصراع الطائفي. لذلك فإنه ينبغي لهؤلاء الذين يعملون من أجل السلام والمصالحة في البلد إيلاء أولوية لملف علاقات الطوائف فيما يتصل بالغذاء. على المدى القصير، قد يكون في مستطاع المجموعات المحلية التي لا تستهدف الربح تشييد جسور التعاون بين مقدمي خدمات الغذاء الذين ينتسبون لطوائف مختلفة. يمكن لهذه المبادرات أن تبني على الحلول التي تبناها بالفعل بعض مقدمي خدمات الغذاء على المستوى المحلي. أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو من الشبك، أفاد أن جزارا ايزيدياً من نينوى عالج هذه المسألة علاجا ابتكاريا إذ أقدم على تعيين جزار مسلم ليمارس الذبح لحسابه، وذلك ليتسنى له بيع اللحوم للمسلمين. هذا النموذج نموذجٌ واعد. على أننا نوصي بحلول أكثر شمولا، بما في ذلك، إصدار شهادات رسمية للأطعمة الحلال، وإطلاق مشروعات بناء السلام ذات الطابع الديني، والتي ينخرط فيها القادة الدينيون المحليون، وذلك لتعزيز الحوار بغية فهم أبعاد هذه القضية فهما كاملا، وتثقيف طوائفهم وبناء الثقة.

تأثير الفاعلين الدينيين

أرجع الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات تأثير القادة الدينيين إلى عدد من العوامل. تتضمن هذه العوامل دور هؤلاء القادة الدينيين في صياغة الخطاب الديني، وقرب الدين من حياة الناس اليومية قربا شديدا. كما تتضمن هذه العوامل التصور الذي مفاده أن القادة الدينيين لديهم حلول فعالة للمشاكل التي يواجهونها، وعلاقات العديد من القادة الدينيين بأشخاص آخرين مؤثرين. بعض العراقيين يعتقدون أنه يجب على المرء احترام كلمة القادة الدينيين بغض النظر عما إذا كانت كلمتهم موضع موافقة أم ليست كذلك. ولعل هذا يشير إلى مدى أهمية رأي القادة الدينيين بالنسبة للعراقيين. فضلا عن ذلك، يعتقد الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات أن هناك أوقاتا يزداد خلالها تأثير القادة الدينيين مثل أوقات الانتخابات وحركات الاحتجاج، بالإضافة إلى الأوقات التي يسود خلالها عدم اليقين. لذلك، فإننا في السطور الآتية نحلل جانبين من عناصر التأثير: أساس قدرة الفرد على التأثير وطرق ممارسة التأثير. إن فهم الكيفية التي بها يبني الفاعلون الدينيون قدرتهم على التأثير، والعوامل التي تؤدي إلى الانتقاص من هذه القدرة، يُعدُّ أمرا بالغ الأهمية لصناع السياسات ومنفذيها فيما يتصل بمعرفة الفاعلين الدينيين في العراق وتأسيس الشراكة الفعالة معهم ضمن بناء السلام. ولعل مسألة أعداد المواطنين الذين يؤثر فيهم الفاعلون الدينيون، وهي الجانب الثالث لموضوع القدرة على التأثير، تعدُّ مسألة جديرة بأن تسلط البحوث المستقبلية الضوء عليها.

يُنظر إلى القادة الدينيين المسيحيين على وجه الخصوص على أنهم مؤثرون بشكل خاص وتبين البحوث التي أجريناها أن الكثيرين من العراقيين يُكنِون لهم احتراما عميقا. فبغض النظر عن الخلفية الدينية للأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات، فإنه بالنسبة للسؤال «أي زعيم ديني خارج طائفتك تكن له احتراما أكثر من غيره؟» تمثلت الإجابة الأكثر ورودا في ذكر زعيم مسيحي معين أو في أن يقول المجيب: «القادة الدينيون المسيحيون عموما».

سند القدرة على التأثير

لعل الأسئلة التي تبرز في هذا الصدد هي: ما العوامل التي تجعل فاعلا دينيا مؤثراً دون غيره؟ ما العوامل التي رأى الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات أنها تكسب بعض الفاعلين الدينيين احتراما أكثر من غيرهم؟ في معرض الإجابة عن هذه الأسئلة، يركز التقرير على الإجابات الأكثر ورودا. جاء في مقدمة تلك العوامل انتقال القيادة الدينية بطريق الميراث (عادة من الأب أو الجد)، وتعرض الفاعل الديني المعني للاضطهاد على أيدي حزب البعث أو داعش، وحصول الفاعل الديني على الدعم الإقليمي (عادة من إيران، لكن أحيانا من المملكة العربية السعودية). كما وردت في الإجابات عوامل أخرى مثل المؤهلات الدينية التي يحظى بها الفاعل الديني، وكذلك تبني الفاعل الديني منهجية دينية معينة، ورعايته للأنشطة الاجتماعية مثل العيادات أو دور الأيتام، وأخيرا النقد المنضبط الذي يتضمنه خطاب الفاعل الديني للشأن السياسي الراهن (انظر الجدول 1).

لوحظ أن الفاعلين الدينيين الأكثر تأثيرا يتحقق فيهم طيفٌ من هذه العوامل. يوضح ذلك أحد الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات، وهو رجل من بغداد:

> أرى أن حسين الصدر مؤثر لأنه من عائلة دينية عريقة. إنها عائلة شهداء. فقد أقدم صدام حسين على إعدام عمه وابن عمه أيضا. كما أقدم النظام السابق على اعتقاله هو نفسه. ومثل ذلك واحدا من أسس قدرته على التأثير. الأساس الآخر لقدرته على التأثير [نابع من] المشاريع الجيدة التي أطلقها والتي تتضمن تأسيس دور لرعاية الأيتام وكبار السن، وتأسيس جامعة علمية رصينة. كما عرف عن حسين الصدر حبه للوطن. أيضا، إن بابه مفتوح لجميع الناس مما جعل أداءه فعالا.

جدير بالانتباه أن تحليل هذه الإفادة لم يتضمن هذا الجزء الأخير منها، والذي هو نوع من الوطنية المتصورة والإخلاص المتصور. على أنه من الجدير وضع ذلك في الاعتبار عند تقييم المصادر التي يستمد منها زعيم ما قدرته على التأثير الديني. هناك عاملان آخران ظهرا في عدد قليل نسبيا من الإجابات، لكنهما مع ذلك جديران بالذكر. أما العامل الأول فهو قيادة وفد الحج. وأما الثاني فهو تقديم خدمة العلاج الإسلامي. من الأمثلة على ذلك محمود الأعرجي، وهو قائد ديني محلي وعالم شيعي في سنجار، بنينوى. أحد الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات، وهو ايزيدي من تلك المنطقة، ذكر المنظمة التي يشرف عليها الأعرجي والتي تنظم حملات ضخمة وناجحة للحج إلى كربلاء باعتبارها شاهدا على قدرته على التأثير. يقول: «أعتقد أنه يحظى بدعم لأنه من المُحال تنفيذ هذا العدد الكبير من النشاطات والتخطيط لها [كما يفعل] دون دعم واسع النطاق». العامل الآخر هو العلاج والمداواة

جدول رقم (1): سند التأثير لدى القادة الدينيين الشيعة

السند	الاسم
قيادة دينية موروثة	مقتدى الصدر وعلي الصدر وأحمد الصدر
الاضطهاد أو الإيذاء (على المستوى الشخصي أو الأسري)	آية الله حسين إسماعيل الصدر، مقتدى الصدر، عمار الحكيم
الدعم الإقليمي (عادة إيران) أو مقاومة التدخل الأجنبي	قيس الخزعلي، مقتدى الصدر
مؤهلات دينية من خلال التعليم (مثل الدكتوراه في الدين أو اللاهوت، يتمتع بسلطة إصدار الفتاوى)	آية الله العظمى علي السيستاني، آية الله العظمى بشير حسين النجفي، آية الله محمد باقر السيستاني، آية الله حسين إسماعيل الصدر
معروف عنه اعتماد منهجية دينية خاصة	آية الله العظمى علي السيستاني، آية الله العظمى محمد يعقوبي
رعاية الأنشطة الاجتماعية	آية الله العظمى علي السيستاني، عمار الحكيم، آية الله هادي المدرسي، آية الله حسين إسماعيل الصدر، مقتدى الصدر، عائلة قزويني، سيد جواد الخوئي
النقد المنضبط للشؤون الجارية	آية الله العظمى علي السيستاني، آية الله العظمى محمد سعيد الحكيم

الإسلامية، أو الرقية. في المقابلات ورد ذكر مصطفى ومحمد الخشالي باعتبارهما مؤثرين، وذلك بسبب قدرتهما على المعالجة والمداواة الإسلامية. وهما من العلماء الصوفية الذين ينتسبون للطائفة السنية، ويقيمان في بعقوبة. ومع أن هذه الممارسات تهدف إلى معالجة الأمراض، فإنه من الممكن أن يدرس الفاعلون الدينيون استخدام بعضها في دعم جهود السلام والمصالحة، لا سيما من خلال توظيفها في معالجة الصدمات.

على مستوى آخر، لوحظ أن القادة الدينيون الذين يعلقون بانتظام على الأحداث السياسية الجارية يفقدون قدرتهم على التأثير ومصداقيتهم كفاعلين دينيين. في المقابل، فإن أولئك الذين يتخيرون التوقيت الذي يعلقون خلاله على القضايا السياسية يُنظر إليهم على أنهم لديهم سلطة دينية أكبر، إذ يفترض المتابعون أن هؤلاء القادة الدينيين يركزون أكثر على الشواغل والمسائل الروحية. وعلى صناع السياسة العراقيين وغير العراقيين أن يضعوا هذه الدينامية في الاعتبار عندما يطلبون من القادة الدينيين إصدار بيانات عامة.

القيادة الموروثة

الفاعلون الدينيون الذين انتقلت لهم القيادة الدينية بطريق الميراث هم أبناء عائلات معروفة تحظى باحترام كبير. برز هذا العامل في المقابلات باعتباره واحدا من أهم العوامل التي يستند إليها التأثير، مع أن ذلك ينطبق في المقام الأول على الفاعلين الدينيين من الرجال من الطائفة الشيعية (والأيزيديين كذلك). أحد الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات أطلق على هذه الظاهرة اسم «تأثير الأب»، وذلك خلال مناقشة زعامة مقتدى الصدر.

جدير بالملاحظة أن القيادة الدينية الموروثة ليس من الحتمي أن تنتقل أو (أن تنتقل حصرا) لأقارب القائد الديني. خذ لذلك مثلا محمد محمد صادق الصدر، وهو والد مقتدى الصدر. الكثيرون يُرجعون قدرة ابنه على التأثير لمحبة الكثيرين لوالده، وليس

لتحصيله العلمي. إن معظم علماء الشيعة يدرسون لمدة واحد وعشرين سنة في ثلاث دورات مدة كل منها سبع سنوات. لكن دراسة مقتدى لم تجاوز بضع سنوات، وتحديدا من 2007 إلى 2011 خلال وجوده بمنفاه الاختياري في قم بإيران. وقد درس على يد كاظم الحائري (ولد 1938).[54] إن تواضع مستوى التحصيل العلمي لمقتدى الصدر يسهم في انتشار القناعة التي مفادها أن قدرته على التأثير موروثة وليست مكتسبة.

لكن التدني النسبي لمستوى تحصيل مقتدى الصدر فيما يتصل بالعلم الديني يسمح للطلاب الذين درسوا على يد والده والذين حققوا إنجازات علمية مرموقة الادعاء بأنهم شركاء في ميراث القيادة الدينية. ذلك أن بعض من أجريت معهم المقابلات يرون أن آية الله العظمى محمد اليعقوبي هو الوريث الحقيقي للإمام محمد محمد صادق الصدر، وليس مقتدى الصدر. وعليه، فإن القيادة الدينية الموروثة لا تُمنح للوريث تلقائيا. بل إن هذا النوع من القيادة يتمخض عن منافسة تحصل بين أتباع الزعيم الديني وأبنائه خلال السنوات والعقود التي تعقب وفاته.

وفي المذهب الشيعي، الانتساب عائليا لشخصية قيادية ذات إسهام ديني في التاريخ الإسلامي يعتبر عاملا يسهم في انتقال القيادة الدينية بطريق الميراث، لكنه لا يكفي كأساس للتأثير.[55] الزعيم الديني علي الطالقاني، مثلا، يقول إنه من ذرية علي بن أبي طالب، أول إمام وفقا للعقيدة الشيعية، وهو ما يجعله من ذرية النبي محمد مباشرة عبر ابنته فاطمة (زوجة علي). على أن هذا الأمر لم يرد ذكره في أغلب المقابلات، لكنه يظل أمرا مهما لا سيما على مستوى الطريقة التي يقدم بها العديد من القادة الدينيين أنفسهم عبر الإنترنت. وفي ذلك نجد الطالقاني، مثلا، ينشر نسبه كاملا على صفحته عبر فيسبوك. وبناء على أن العديد من الزعماء الدينيين في العراق يَدَّعون انتسابهم للنبي، فإننا نقصر مفهوم القيادة الدينية الموروثة على القادة الدينيين الذين كان أقرباؤهم المباشرون قادة دينيين (أي الآباء، أو الأجداد، أو الأعمام). كما أنه من المهم تمييز القيادة الدينية الموروثة عبر الخلافة.

كما ذكرنا، يُعتبر آية الله العظمى محمد اليعقوبي خليفةً لأستاذه الذي لا يربطه به نسبٌ عائلي. لكن هذا الوضع يختلف قليلا عن وضع القيادة الموروثة المستندة إلى نسب عائلي. فكما يشير وضع مقتدى الصدر، يبدو أن الارتباط عائليا بقائد ديني كبير يؤدي إلى خفض مستوى التحصيل العلمي الذي ينبغي أن يحوزه الشخص ليكون قائدا دينيا مؤثرا (هذا مع أنه خلال الآونة الأخيرة، بات يُنظر إلى مقتدى الصدر باعتباره شخصية سياسية). أما بالنسبة للوضع الذي يبرز فيه أحد الطلاب كخليفة لأستاذه، فالأرجح أن يكون الطالب واحدا من أكثر طلاب ذلك الأستاذ تحصيلا. وعليه، فلعله من الأكثر ملاءمةً إدراجه في فئة «أصحاب المؤهلات الدينية المكتسبة من خلال التحصيل العلمي».

الاضطهاد أو الإيذاء

عدد كبير من الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات ذكروا الاضطهاد الذي يتعرض له الفاعل الديني باعتباره أساسا للقدرة على التأثير، وعادةً ما يكن ذلك على أيدي حزب البعث. كما ذكروا الإيذاء الذي تتعرض له عائلة الفاعل الديني، عادةً على أيدي تنظيم الدولة الإسلامية، كأساس للقدرة على التأثير. ويُنظر إلى الاضطهاد باعتباره شاهدا على تمسك الفاعل الديني بالدين. إنه سببٌ للتأثير وفي نفس الوقت مؤشرٌ عليه. وكما أوضح أحد القادة الدينيين، «كلما زاد تأثير العالِم، كان الرد [البعثي] أكثر وحشية».[56] إن التعرض للاضطهاد على الأرجح يشير إلى أن الزعيم المعني كان مؤثرا بالفعل. على أنه قد يتيح أيضا للقائد الديني أو أحد الأقارب، رجلا كان أم إمراة، قدرةً على التأثير أو مصداقية في المستقبل. في بعض الأحيان، يؤدي الإيذاء إلى ظهور قادة دينيين لم يكن من المحتمل أن يظهروا، ويتحدثون نيابة عن المجتمع لشد الانتباه إلى المآسي التي شهدوها.

قتل عدد من أفراد عائلة عمار الحكيم على يد حزب البعث. وحتى اليوم، لم يزل عمار الحكيم يستحضر قتلهم في الخطب العامة. في إحدى المقابلات، ذكرت سيدةٌ شيعيةٌ تجربة عائلة الحكيم فيما يتصل بتعرضها للاضطهاد ضمن سياق توضيح الأسانيد التي تجعلها تُكِنُّ احتراما لعمار الحكيم كزعيم سياسي وديني. وقالت السيدة إن تجربة عائلة الحكيم في الاضطهاد دفعتها إلى الوثوق بتلك العائلة. ويُعزى ذلك جزئيا أيضا إلى أنها هي نفسها قد تعرضت للسجن على يد حزب البعث بسبب نشاطها الديني. على أنه جدير بالانتباه أنه في مثل هذه الحالات، لم يميز الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات بين التأثير الديني والتأثير السياسي للزعيم المعني.

إن هذا المعيار، أي معيار الاضطهاد، ذو أهمية خارج العراق أيضا. فنحن نرى علي الخامنئي، المرشد الأعلى الحالي لإيران، يذكر على صفحته الخاصة في الإنترنت سلسلة الاعتقالات التي تعرض لها والنفي في ظل حكم نظام الشاه محمد رضا بهلوي، وذلك كسند لإثبات مصداقيته كقائد ديني.[57]

التحالفات

إن كلا من الحصول على دعم راعٍ خارجي، ورفض الخضوع لسيطرة جهة خارجية، يجعل الفاعل الديني مؤثرا. هذا مع أن هناك تناقضا واضحا بين الموقفين. على أن الناس يختلفون فيما

بينهم عندما يتعلق الأمر بتخير أي من الموقفين. الزعيمان اللذان يُذكران أكثر من غيرهما كمثالين على هذين الموقفين المتناقضين هما قيس الخزعلي الذي يُنظر له على أنه مرتبط بعلاقة وثيقة بإيران، وعلى الضفة الأخرى مقتدى الصدر، الذي يسعى سعيا علنيا لاستثمار صورته الذهنية باعتباره قائدا دينيا لا يخضع لأي تأثير خارجي، ما يُمثل تحولا صارخا في جانبه لا سيما بعد ارتباطه بإيران التي اتخذها منفى اختياريا له حتى عام 2011.

التعليم

وكما يبين وضع مقتدى الصدر، فإن القيادة الدينية الموروثة ضمن الوسط الشيعي غالبا ما تكون قيادة هشة في حالة افتقار القائد الديني المعني للمؤهلات الدينية الفردية. وكما هو الحال بالنسبة للاضطهاد، فإن المؤهلات العلمية تمثل مؤشرات على مدى جدية تعامل المرء مع الالتزامات الدينية. عادة، كلما كان القائد أفضل تعليما، اتسع نطاق تأثيره. ولعله جدير بالذكر في هذا الصدد أنه ضمن أوساط الطوائف الأخرى، هناك توقير للتعليم الديني لكنه لا يتحول بالضرورة إلى تأثير. أما ضمن أوساط الطوائف السنية والطوائف التي تعتبر من الأقليات، فيبدو أن تبوأ القيادة الدينية لمنصب رسمي يُعدُّ العامل الأهم فيما يتصل باكتساب القدرة على التأثير.

المنهجية

تعتبر المنهجية الدينية أيضا مفهوما من المفاهيم وثيقة الصلة بالوسط الشيعي. المنهجية هي الطريقة التي يستخدم بها العالم المسلم الأدلة المتاحة للتوصل إلى استنباط بشأن مسألة شرعية معقدة. وإذا اختلف العلماء في المنهجية، فقد يتوصلون إلى استنباطات مختلفة على مستوى الأحكام الشرعية. هذا، وفي العديد من المقابلات، أشار المجيبون إلى منهجية عالم معين كسبب لقدرته على التأثير. وجدير بالذكر أن آية الله العظمى السيستاني حرص أن يوضح في موقعه الإلكتروني المنهجية التي يتبناها. فهو يذكر أن مبتغاه هو أن يستقي من النصوص المقدسة مثل القرآن المعاني الكلية الكامنة فيها بعيدا عن القراءة الحرفية.

الرعاية

إن العديد من الفاعلين الدينيين يقدمون الخدمات الاجتماعية كوسيلة لرعاية أصحاب الحاجات، وللتعبير عن حرصهم عليهم، وتعزيز علاقاتهم بهم. وعادة ما يُقْدِم الفاعلون الدينيون على تمويل الخدمات الاجتماعية من خلال جمع التبرعات. وفي ذلك يؤكد القادة الدينيون المسيحيون في العراق أن جهودها في توزيع الخدمات الاجتماعية لا تتأثر بالهوية الطائفية للمستفيدين.[58] وهذا أمر منطقي بالنظر إلى وضع المسيحيين كقيادات لأقليات دينية والتنوع الهائل على مستوى المعتقدات الدينية في المناطق التي يوجد فيها المسيحيون.

على النقيض من ذلك، يميل القادة الدينيون الشيعة إلى قصر الخدمات الاجتماعية التي يقدمونها على أبناء طائفتهم. فهم يعطون الأولوية لتلبية حاجات الطلاب في المعاهد الدينية باعتبار ذلك أهم الخدمات التي يجدر بهم تقديمها. هذا مع أنهم يشاركون أيضا في تقديم مجموعة واسعة من الخدمات الطبية وغير ذلك مما يتيح لهم التواصل مع بقية المواطنين. ووفقا لموقع آية الله العظمى السيستاني على الإنترنت، فإن مكتب السيستاني يدعم ما يقرب من خمسين ألف طالب، معظمهم يدرسون في مدينة قم. وبالإضافة إلى تقديم خدمة السكن لطلاب المعاهد الدينية، فإن السيستاني يرعى أيضا العديد من العيادات، بما في ذلك مستشفى جواد الأئمة التخصصي للعيون وعيادتان لذوي الدخل المنخفض: عيادة الإمام الصادق الخيرية وعيادة الإمام الحسن المجتبى. كما يرعى السيستاني مؤسسة العين للرعاية الاجتماعية التي تعتني بالأيتام والنازحين والمشردين. وفي نهاية عام 2015، قدمت المؤسسة خدمات الرعاية لأكثر من ثلاثين ألف يتيم بتكلفة تقارب 80 مليون دولار.

إن وجود موارد بهذه الضخامة تحت تصرف القادة الدينيين الشيعة يزيد من التعاون بينهم وبين الدولة في هذا الصدد. وفي بعض الأحيان يسعى القادة الدينيون الشيعة لتلبية حاجات المواطنين التي لا تلبيها الدولة. ومن الأمثلة على ذلك الجهود التي بُذلت في مواجهة نزوح مئات الآلاف من العراقيين بسبب تقدم داعش. فعلى سبيل المثال، لوحظ أن مخيم للنازحين بالقرب من كربلاء قد جرى تمويله في البداية من خلال استخدام الموارد المشتركة للدولة ومزارات كربلاء. وبحلول عام 2016، أدى انخفاض أسعار النفط ومعه قرار الدولة بتوجيه كل الأموال المتاحة لمحاربة داعش إلى زيادة حاجة النازحين في المحافظة إلى الرعاية. واليوم، نجد أن المزارات تدير عملية تلبية حاجات النازحين من خلال تبرعات الأثرياء، والحجاج، والاستثمارات.[59] جدير بالذكر في هذا الصدد أن تحقيقا أجرته مجلة أتلانتيك قد ذكر أن المزارات بدأت بالفعل تضطلع ببعض وظائف الدولة على نحو ملموس.

في بغداد، ورد في المقابلات التي أجريت ذِكْرُ حسين إسماعيل الصدر باعتباره قائدا دينيا ذا قدرة خاصة على التأثير، وذلك بالنظر إلى تأسيسه مؤسسة الحوار الإنساني، التي تجمع بين التنمية ومشاريع المصالحة. في هذا الصدد، علقت سيدة شيعية من بغداد بقولها إن الأنشطة الاجتماعية التي يباشرها حسين الصدر قد أسهمت في انخفاض العنف.

التعليق المنضبط على الشأن السياسي

تطرق عدد من الإجابات التي وردت خلال المقابلات إلى الانخراط الحَذِر للفاعلين الدينيين في الشؤون السياسية باعتباره أمرا حيويا يتوقف عليه تأثيرهم في الوعي الجمعي. لقد رأى الكثير ممن أجريت معهم المقابلات أن آية الله العظمى السيستاني هو القائد الديني الأفضل أداء في هذا الصدد. ومع أن السيستاني نفسه لا يُعدُّ شخصيةً مُسَيَّسة، فإن قراراته لها عواقبُ سياسية مهمة. ففي عام 2014، أصدر السيستاني بيانا يَحُثُّ فيه السياسيين العراقيين على عدم التشبث بمناصبهم الرسمية. وقد فسر الكثيرون البيان على أنه دعوة لرئيس الوزراء آنذاك نوري المالكي إلى التنحي.[60] وقد استغرق الأمر أقل من شهر منذ صدور أول تصريح للسيستاني لكي يتنحى المالكي، مما سمح لحيدر العبادي بتأليف حكومة جديدة. وقد حصل التنحي في اليوم السابق على خطبة جمعة أخرى كان من المتوقع خلالها أن يزيد آية الله العظمى من انتقاده للمالكي.[61]

عددٌ من أجريت معهم المقابلات من جميع أنحاء العراق ومن مختلف الطوائف عبروا عن أن التدخلات المنضبطة والمحسوبة للسيستاني في الشأن السياسي قد زادت من احترامهم له. وقد ذكروا عدة أسباب لذلك. أحد هذه الأسباب أن انخراطه (في الشأن السياسي) نادر. وعندما تكون له مشاركات سياسية، تكون متعلقة بقضية ذات أهمية حاسمة. فضلا عن ذلك، فإن صمته بشأن قضية ما يمكن أن يكون في حد ذاته شكلا من أشكال النقد. كما تضمن الأسباب التي ذُكرت في المقابلات أن السيستاني يعمل من أجل خير المجتمع لا من أجل تحقيق مكاسب شخصية، وأن غيابه عن الحيز العام يؤدي إلى شيء من الغموض المحمود. أحد الأشخاص ممن أجريت معهم المقابلات، وهو شيعي من النجف، يشرح ذلك بقوله:

> عندما تنظر إلى السيد السيستاني بتوجيهاته المستمرة فيما يتعلق بالتصويت على الدستور كممارسة ديمقراطية، فإنك تراه يبتعد عن السياسة على الدوام، ولا ينخرط في الشأن السياسي إلا عندما يكون انخراطه ضرورة ملحة. ولك أن تقارن ذلك بسلوك جميع العلماء الآخرين الذين يتدخلون في السياسة لتحقيق مكاسب شخصية.

يعلق أحد القادة الدينيين من النجف تعليقا مشابها فيقول: «إنه (السيستاني) من أولئك الرجال الذين ينطوي صمتهم على حكمة. إن صمته يشبه صرخة مدوية في مقابل أصوات ليست في حقيقتها سوى جعجعة فارغة».

لا ينظر إلى آية الله العظمى السيستاني باعتباره شخصا لا ينخرط انخراطا مباشرا في الشأن السياسي، كما يشرح مسلم شيعي عَرَّف نفسه بأنه ليبرالي،

> في العراق لدينا ظاهرة تحتاج إلى خبير نفسي ليفسرها: إن أولئك الذين ينأون بأنفسهم وليس لديهم الكثير من الحضور ولا يظهرون في الحيز العام يُرجحُ أن يكونوا مؤثرين تأثيرا كبيرا للغاية. على سبيل المثال، لو أن السيد السيستاني ظهر يوميا على الشاشة وفي المناسبات العامة، فسيكون أقل تأثيرا. إن حالة الغموض الناتجة عن الغياب تمنح الشخص هالة – ولعل هذا ما يجعله شخصا غير عادي في أعين الناس.

ومع أن العراقيين ينظرون إلى السيستاني باعتباره شخصا لا ينخرط انخراطا مباشرا في الشأن السياسي، فإن الشخصيات السياسية من داخل العراق وخارجه تسعى إلى إجراء مشاورات معه. ونادرا ما يسمح السيستاني لأي شخص بأن يُصور معه. إن تمكن شخصٍ من الحصول على موعد مع آية الله العظمى في حد ذاته دلالة على أن ذلك الشخص مؤثر. لقد عُرِف عن السيستاني أنه يتخير بعناية الأشخاص الذين يجتمع بهم. وكثيرا ما يشعر المسؤولون الأمريكيون والأوروبيون بالإحباط بسبب عدم استعداده للاجتماع بهم. في عام 2014، التقى السيستاني الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون لمناقشة الأزمة الناجمة عن التقدم السريع لداعش. وبالنسبة لمعظم المسؤولين العراقيين الكبار، مثل رؤساء الوزراء، فقد التقوا السيستاني في مناسبة واحدة على الأقل.

ومع أن جميع المقابلات التي أجريت لإعداد هذا التقرير قد خلت من أي نقد لآية الله العظمى السيستاني فيما يتصل بانخراطه في الشؤون السياسية، فقد تعرض فاعلون دينيون آخرون للنقد لهذا السبب تحديدا. على سبيل المثال، علقت سيدة من النجف على هذا الأمر قائلة: «إن أبرز القادة [في النجف] هم المرجع الديني، أي السيد السيستاني، ويأتي بعده الشيخ إسحاق الفياض ثم محمد سعيد الحكيم، لكن تأثير الحكيم يُضعِفه انخراطُهُ في السياسة». بالمثل، لوحظ أن جعفر الإبراهيمي، وهو واعظ يخطب الجمعة، قد تعرض للنقد لنفس السبب. فعلى حد تعبير شخص آخر ممن أجريت معهم المقابلات،

> استخدم جعفر الإبراهيمي منبر الحسينية كأداة لانتقاد العملية السياسية والحكومة، وهذا أمر غير مقبول. لأن الهدف الأساسي من هذا المنبر هو توجيه الناس فيما يتصل بالقضايا الاجتماعية والدينية. نعم، يمكن أن يكون هناك بعض النقد، لكن يجب أن يكون النقد بَنَّاءً لا مدمرا. ولا يجب أن يكون النقد مُفصَّلا، ولا يجب التوسع فيه، مثلما كان يفعل الإبراهيمي.

بتعبير أكثر بساطة، إن أولئك الذين يحاولون استغلال المنبر في محاولة الإسهام في صياغة المشهد السياسي يُنظر إليهم على أنهم مشغولون بالشؤون الدنيوية.

في الوقت نفسه، فإنه من الواضح أن هناك تنسيقا بين أعلى مستويات السلطة الدينية الشيعية من أجل زيادة أثر تدخلات

جدول 2: طرق تأثير الزعماء الدينيين العراقيين المختارين

	شيعي	سُني	مسيحي	غير ذلك
زعيم حزب سياسي	مقتدى الصدر، عمار الحكيم، شيخ جلال الدين الصغير، صلاح عبد الرازق، اياد جمال الدين، آية الله هادي المدرسي	أسامة توفيق التكريتي، خالد ياسين العبيدي، سليم الجبوري	يونادم كنا (أشوري)، جوزيف صليوا، ايمانويل خشبة يوخانا (أشوري)	فيان دخيل (أيزيدية)، شيخشامو (أيزيدي)، اكو شاويس (كاكائي)، قشئد جابر الخميس (الصابئة المندائية) أمينة سعيد حسن (نائب سابق، أيزيدية)
الارتباط بجامعة مسلحة غير حكومية	مقتدى الصدر، عمار الحكيم، شيخ جلال الدين الصغير، قيس الخزعلي	نشوان الجبوري، مقداد الصباوي	يونادم كنا (أشوري)	حيدر شَشو (أيزيدي)، مظلوم شنجال (أيزيدي)، بريفان ارين (أيزيدية)، أبو جعفر الشبكي (شبك)
منصب رسمي، قيادة دينية، عالم	مرجع على قيد الحياة: آية الله العظمى علي السيستاني، آية الله العظمى محمد تقى المدرسي، بشير النجفي، محمد سعيد الحكيم، محمد اسحق الفياض، صدر الدين القُبَّنجي	عبدالملك السعدي	افاج أسادوريان (أرمني مسيحي)، لويس رافائيل الأول ساكو (بطريرك الكلدان الكاثوليك في بغداد)، بطريرك فاهان هوفهانسيان، الأسقف بولس فرج راحو (كلداني)، الأسقف بشار وردة (كلداني)، الأسقف ربان القس (كلداني)، المطران نيقوديمومس شرف (سرياني أرثوزوكسي، الموصل) المطران ابريس جونسين، رئيس أساقفة تيموثيوس موسى من أبرشية دير مور مطاي (السريانية الأرثوذكسية)، المطران توماس مرقص (كلداني)	بابا شيخ خرتو حاجي إسماعيل (أيزيدي)، الأمير تحسين سعيد (أيزيدي)، باب شيخ خرتو حاجي إسماعيل (أيزيدي)، ستار جابر حلو (الصابئة المندائية)، ادوين شكير (يهودي، خارج العراق) مازن نايف (الصابئة المندائية)
محطة تلفزيونية وإذاعية	آية الله هادى المدرسي (أهل البيت تي في)، عمار الحكيم (الفرات)، نوري المالكي (آفاق تي في)، مجتبى الحسيني الشيرازي (إمام حسين ميديا)، كمال الحيدري (الكوثر)، حسن الله ياري (أهل البيت تي في)، علي الطالقاني، راشد الحسيني (الأنوار)، محمد يعقوبي (حديث الروح برنامج تلفزيوني) – جعفر الابراهيمي (الأنوار) – ياسر الحبيب (فدك)	أكرم العلواني (بغداد تي في)، خالد الملا (آفاق)	يونادم كنا (اشورى اشور تي في)	
وسائل التواصل الاجتماعي	آية الله هادي المدرسي، على الطلقاني، كمال الحيدري	المفتى الأكبر مهدي الصميدعي الكبير		
الارتباط بهيئة حكومية أو دينية	علاء عبد الصاحب الموسوي	المفتى الأكبر مهدي الصميدعي، رافع الرفاعي عبد اللطيف الهميم، مثنى حريص الظهري، عبد الله جلال		نادية اف. مغاميس (الصابئة المندائية)، فوما ذكي زهرون (الصابئة المندائية)
خطاب معتدل	آية الله العظمى علي السيستانى	عبدالملك السعدي، دكتور أكرم عبيد العلواني		
زعيم حركة اجتماعية	مقتدى الصدر	عبدالملك السعدي		

السيستاني في الشأن السياسي. ويبدو أن العلماء البارزين الآخرين الذين يمارسون قدرا هائلا من ضبط النفس في التعليق على الشؤون السياسية إنما هم في الواقع يسهمون عن قصدٍ في تقوية أثر خطاب السيستاني في نفوس العراقيين بصمتهم. أو لعلهم «يصمتون احتراما لصمت السيستاني» على حد تعبير أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو شيعي. هذا، وليس واضحا ما إذا كان حضور كبار العلماء البارزين في الحيز العام سيزيد بعد وفاة السيستاني أم لا. فحتى وقت قريب، وتحديدا حتى عام 2010، وُصِفت المراجع الدينية الأربعة في النجف بأنهم «نشطاء سلميون»، وهو ما يشير إلى أي مدى تطورت دينامية ضبط النفس الشديد هذه.[62] ولعل آية الله العظمى السيستاني، على وجه التحديد، لديه فسحة أوسع من القادة الدينيين الآخرين فيما يتصل بالتعليق على الواقع السياسي والسعي للتأثير فيه وصياغته. بيد أننا، وبغض النظر عن المكانة الخاصة الممنوحة للسيستاني، يمكننا أن نستنتج أن العراقيين يفضلون أن يكون قادتهم الدينيون انتقائيين للغاية في تعليقهم على الشؤون السياسية.

طرق التأثير

في القسم الآتي نتناول بالتفصيل الأدوات التي من خلالها يمارس الفاعلون الدينيون التأثير. تتضمن هذه الأدوات الأحزاب والجماعات المسلحة غير الحكومية، والمناصب الرسمية التي يشغلها القادة الدينيون، ومحطات التلفزيون أو الإذاعة، ووسائل التواصل الاجتماعي، والارتباط بهيئات حكومية، واعتماد خطاب معتدل (انظر الجدول 2).

الارتباط بحزب سياسي

مع أن العديد من القادة الدينيين يستمدون قدرتهم على التأثير من بُعدهم عن السياسة، فإن بعضهم يختار مسارا معاكسا إذ يلجؤون إلى استخدام حزبٍ من الأحزاب السياسية كأداة للتأثير. الأحزاب السياسية تساعد الفاعلين الدينيين في تعبئة الأتباع والموارد. ولعل الفاعل الديني الذي تكرر ذكره أكثر من غيره في المقابلات باعتباره يرتبط بعلاقات حزبية سياسية هو عمار الحكيم. الحكيم هو الرئيس السابق للمجلس الإسلامي الأعلى في العراق (ISCI) والقائد الحالي لتيار الحكمة.

جدير بالملاحظة هنا أن الأحزاب السياسية البارزة أو التي تلعب دورا كبيرا في الحكومات الائتلافية تَرْفُدُ الفاعل الديني بالدعم من خلال المحاباة في التوظيف. من الأمثلة المعبرة عن ذلك تعيين عضو في المجلس الأعلى الإسلامي العراقي، وهو علي خضير العبودي، مديرا عاما لشركة نفط حكومية، وهي شركة ذي قار للنفط. فقد عين العبودي في هذا المنصب مع أنه، حسبما ادعى البعض، تنقصه الخبرة الإدارية. إن تعيين العبودي في هذا المنصب لا يعبر فحسب عن حجم الموارد التي يمكن للأحزاب السياسية الوصول إليها من خلال النجاح الانتخابي، بل يُعبر أيضا عن قدرة قادة الحزب على التأثير في أعضاء الحزب الكبار الآخرين الذين تعتمد سبل تَعَيُّشِهم على نجاح الحزب.

على أنه ينبغي للفاعلين الدينيين استحضار أن المواطنين لديهم توقعات مختلفة فيما يتصل بالأحزاب السياسية التي يشاركونها نفس الانتماء الطائفي. في هذا الصدد، يعلق أحد العراقيين، ضمن سياق تناول الحاجة لإعادة بناء مدينته بعد هزيمة داعش، فيقول: «هؤلاء السياسيون سنيون ـــ من المفترض أن يساعدونا .... إنهم عديمو الفائدة».[63] إن التقاعس المتصور من جانب أبناء الطائفة التي ينتمي لها المواطن قد يؤدي به إلى رفض سلطتهم رفضا حادا.

وبالنسبة للطوائف الدينية التي تُصنف كأقليات، فإن الانتماء إلى حزب سياسي قد يمنح أفرادا معينين منبرا للدفاع عن مصالح الطائفة. ولعل وضع فيان دَخيل يمثل واحدا من الأمثلة المعبرة عن ذلك. لقد أصبحت فيان دخيل وجها من وجوه المجتمع الأيزيدي من خلال شهادتها المؤثرة التي أدلت بها في أعقاب غزو داعش لأماكن تركز الأيزيديين في عام 2014. وغالبا ما تُوَجَّهُ لها الدعوة في المنتديات الوطنية والدولية لتمثيل مجتمعها باعتبارها إحدى عضوين أيزيديين فقط في البرلمان العراقي.

هناك أيضا يونادم كنا، وهو الأمين العام للحركة الديمقراطية الآشورية، وهو عضو في البرلمان كممثلٍ لإحدى الطوائف التي تُصنف كأقلية دينية، وهي طائفة الآشوريين المسيحيين. إن إحدى مشكلات طائفة الأيزيديين التي تمثل فيان دخيل وجها من وجوهها قلة القيادات التي تتكلم باسم الطائفة. على الضفة الأخرى، يواجه يونادم كنا مشكلة معاكسة، وهي كثرة من يحاولون إلزام الطوائف المسيحية العراقية بمبادراتهم. ولذلك، فقد بذل يونادم كنا جهدا حثيثا في محاولة رسم الحدود التي تفصل بين الطوائف المسيحية العراقية وبين الجهات المسيحية الأخرى التي قد تُطلق بحسن نية مبادراتٍ تُعقِّدُ وضعَ المسيحيين العراقيين على مستوى الأمن والفرص المتاحة لهم. ضمن هذا السياق، تصدى يونادم كنا، في مقابلة عام 2015، لمناقشة مطالبة بعض الجماعات المسيحية الأمريكية بأن يكون للمسيحيين في العراق محافظة خاصة تتمتع بالحكم الذاتي، وهو ما عارضَهُ بعض المسيحيين العراقيين.[64]

من بين التحديات التي تواجه الفاعلين الدينيين والتي ترتبط بالأحزاب السياسية أن بعض العراقيين يُحَمِّلون الأحزاب ذات الهويات الدينية مسؤولية زيادة حالة الاستياء من التدين في العراق. يوضح ذلك أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو من البصرة بقوله، «إن وضع

[التدين في العراق] ضعيف لأن السياسيين المنتمين إلى الإسلام السياسي لا يُقدِّمون نهجا إداريا يلبي حاجات المواطن، مما يسبب عدم الرضا عن الإسلام السياسي».

الارتباط بمجموعة مسلحة غير تابعة للدولة

معظم الجماعات المسلحة في العراق تندرج تحت قوات الحشد الشعبي، التي تعتبر شيعية الهوية إلى حد كبير، وهي تضم أيضا مجموعات سنية ومسيحية وأيزيدية. ويمكن تقسيم الفصائل الشيعية بقوات الحشد الشعبي من خلال ولائها لثلاثة قادة: آية الله العظمى علي خامنئي، وآية الله العظمى علي السيستاني، ومقتدى الصدر. المجموعات المسلحة التابعة لعمار الحكيم، بما في ذلك سرايا الجهاد، وسرايا العقيدة، وسرايا عاشوراء، كلها موالية للسيستاني.[65] بناء على أن العديد من الجماعات المسلحة العراقية موالية إما للسيستاني أو لخامنئي، وكلاهما متقدمان في العمر (الأول بلغ تسعة وثمانين عاما، والآخر بلغ ثمانين عاما)، فإن مسألة كيفية تأثير وفاتهما في سلوك هذه المجموعات يُعدُّ واحدا من المخاوف التي تساور المواطنين وواضعي السياسات وبناة السلام. إن الاحتمال الذي يشغل الكثير من العراقيين بصورة خاصة هو أنه في حالة وفاة السيستاني قد تحاول إحدى الجماعات المسلحة تمكين واحدٍ من آيات الله الذين لديهم علاقة قوية بها كخليفةٍ للسيستاني. ولعل هناك حاجة لمزيد من البحوث لفهم خريطة التحالفات القائمة بين الجماعات المسلحة الموجودة في العراق والشخصيات الدينية البارزة.

إن لدى القادة الدينيين المرتبطين بالجماعات المسلحة قدرةً على التأثير بسبب ما يمكنهم تحقيقه من أمور استنادا لذلك الارتباط. تعبر عن ذلك الكلمات الآتية التي وردت على لسان أحد قادة الجماعات المسلحة خلال مقابلة: «إذا أمرتنا قيادتنا الدينية بالخطف أو القتل، فإننا ننفذ الأوامر. نحن إسلاميون، ونحن نطيع قيادتنا الدينية. نحن نفعل ما تأمرنا به قيادتنا الدينية، لا ما تأمرنا به الدولة أو غيرها»[66] وفي الواقع أنه قد وردت إفادات على لسان قادة آخرين تشبه هذه الإفادة. مثلا، لوحظ أن أكرم الكعبي، زعيم حركة النجباء المسلحة، قد ذكر علانية أنه سيُطيح بالحكومة العراقية إذا أمر بذلك آية الله العظمى خامنئي. يقول الكعبي: «لا يمكن لقوات الحشد الشعبي عمل انقلاب ما لم تتخذ هيئة دينية قرارا بتغيير الحكم في العراق. فإذا قررت هيئة دينية ذلك، فإننا نتوكل على الله، ونمضي قُدُما. سيكون من الطبيعي بالنسبة لنا أن ننفذ تلك الأوامر».[67]

قبل ظهور داعش، لم يكن في العراق جماعات مسلحة مسيحية. ولكن، بعد صدور تقارير عن حصول انتهاكات حقوق الإنسان من قبل جماعات مسلحة شيعية، أُلِّفَت عدة مجموعات مسيحية مسلحة، بما في ذلك دويخ نوشا وكتائب بابليون المسيحية العراقية. أما دويخ نوشا فيقودها ألبرت كيسو. وأما كتائب بابليون فيقودها ريان الكلداني.[68] هذا، ويلاحظ أن هؤلاء القادة لا يُنْظرُ لهم على أنهم قادة دينيون. هذا، ومنذ ظهور داعش، أقدمت طوائف أخرى على تأليف جماعات مسلحة، مثل السنة والأيزيديين والشبك والتركمان.[69]

القيادة الدينية الرسمية

إن المناصب الرسمية التي يشغلها قادة دينيون تتيح للفاعلين الدينيين الوصول إلى موارد متعددة تُسهل التأثير، من بينها البنية التحتية المادية والشبكات الاجتماعية، والسلطة الدينية. والمناصب الرسمية هي الأداة الأساسية التي يمارس من خلالها القادة الدينيون المسيحيون التأثير لكنها مهمة أيضا للطوائف الشيعية والأيزيدية والصابئة المندائية. في الساحة الشيعية، لوحظ أن المرة الوحيدة التي ورد خلالها ذكر المناصب الرسمية في المقابلات كانت خلال مناقشة موضوع المراجع أو الوقف الشيعي. بعض من أجريت معهم المقابلات ذكروا الأوقاف الدينية السنية والشيعية، لكنهم نادرا ما ذكروا قادة هذه الهيئات بالاسم.

أما الطوائف المسيحية، على اختلافها، فتميل إلى استخدام ألقاب مماثلة تعبر عن التسلسل الهرمي. وجدير بالذكر أن السلطات المسيحية العليا تتضمن رؤساء الأساقفة والبطاركة. البطاركة هم أساقفة رفيعو الدرجة يرأسون الكنائس المستقلة. لويس الأول رافائيل ساكو، على سبيل المثال، هو بطريرك الكاثوليك الكلدان في بغداد. الأساقفة هم رؤساء الأبرشيات، ورؤساء الأساقفة هم رؤساء الأبرشيات المهمة (والتي عادة ما تشمل المناطق الحضرية).

أما ضمن أوساط المسلمين الشيعة الاثني عشر، وهو المذهب الرئيسي ضمن الإسلام الشيعي الذي يُمارس في العراق، فإن الألقاب تعبر عن مناصب رسمية للقيادة الدينية. من الناحية النظرية، يرتبط هذا التسلسل الهرمي بدرجة التحصيل العلمي للفرد ونوعية العلم الذي اكتسبه. أي أن العالِمَ يتدرج في اكتساب الألقاب الدينية كلما اكتسب احتراما أكبر بين نظرائه. أما على مستوى الممارسة العملية، فإن الاعتبارات السياسية تؤثر في عملية إقرار منح العلماء الألقاب التي يُرشحون لها ويسبغونها على بعضهم البعض. كل عالِم يتخصص في مجال معين، وقد يكون له الحق في الاجتهاد على أن يقتصر ذلك على مجالٍ واحدٍ دون غيره (الاجتهاد هو أن يباشر العالم إعادة تفسير الشريعة الإسلامية لمن هو أدنى منه درجة من العلماء وللمواطنين العاديين).

ولقب آية الله العظمى هو اللقب الأعلى ويمنح لشخص يصبح مرجعاً – أي مرجعية دينية أو جهةً يجدر تقليدها. العلماء الذين يحوزون هذه الرتبة لهم الحق في ممارسة الاجتهاد. في

الزعيم الشيعي العراقي مقتدى الصدر (إلى اليمين) يلتقي الرئيس السابق لكردستان العراق، مسعود البرزاني، في النجف، في 23 نوفمبر/تشرين الثاني، 2018. (تصوير علاء المَرجاني/رويترز)

المذهب الشيعي، يعتبر وجود مثل هؤلاء العلماء أمر ضروري لأن الشريعة الإسلامية يجب أن تعالج موضوعات الحياة التي تتطور باستمرار وتشهد مستجدات ربما لم يتناولها العلماء في السابق. ويُفترض بالشخص الشيعي العادي أن يختار مرجعا حائزا لرتبة آية الله العظمى على قيد الحياة بحيث يرجع إليه لتفسير الشريعة الإسلامية في ضوء الوضع المعاصر (وتعرف هذه العلاقة بالتقليد). ويُقدم آية الله العظمى التوجيه والإرشاد من خلال الفتاوى التي يصدرها، والتي تشمل السؤال المقدم من الشخص طالب التوجيه وإجابة العالم.

وتعتبر رتبة آية الله الرتبة الأدنى التي تأتي بعد رتبة آية الله العظمى. والعالِم الذي يحوز هذه الرتبة له أيضا الحق في الاجتهاد. وبحيازة هذه الرتبة، يبدأ العالم بتدريس طلاب المعاهد الدينية وجموع طلاب العلم. وتعتبر رتبة حجة الإسلام الرتبة الأدنى التي تأتي بعد رتبة آية الله. في العراق، هذه الرتب والألقاب الثلاثة مقصورة على الرجال، مع أن بعض النساء في إيران قد مُنِحْنَ رتبة المجتهدة التي تمنح السيدة العالمة الحق في تفسير الشريعة الإسلامية.

التلفزيون والإذاعة

تعتبر وسائل الإعلام منصة ذات أهمية لا توصف بالنسبة لمختلف المجتمعات الدينية، وخاصة بالنسبة للاتجاهات الدينية التي تعبر عن الأقليات التي تطمح أن تنشر أفكارها. ووَفقا لما ذكره المراسل العراقي ماجد شكر، لصحيفة المونيتور في عام 2015، «تلعب وسائل الإعلام دورا رئيسيا في التعبئة الدينية ودفع الناس إلى التدين. ... معظم القنوات العراقية والمحطات المحلية تبث برامج دينية على مدار الساعة في حين لم تَعُد أغاني الحب تُبث.»[70] كذلك محطات الإذاعة مهمة هي الأخرى. في بغداد، كما يوضح أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو شيعي، «عادةً ما تُعَدُّ محطةُ العهد الإذاعية أكثر تأثيرا من محطات التلفزيون». على الأرجح تشير هذه الكلمات إلى الحضور الطاغي للمذياع في سيارات الأجرة ومحلات الحلاقة وغيرها من الأماكن التي لا يوجد فيها تلفزيون.

وفي واقع الأمر إن الأسئلة التي طُرحت خلال المقابلات حول دور وسائل الإعلام قد أثارت ردودا قوية: وقد بدا أن الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات يرون أن هناك قنواتٍ معينةٍ تُسهم في

جدول رقم (3): تأثير القادة الدينيين البارزين على فيسبوك

الاسم	صفحة الفيسبوك	الإعجابات	المتابعون	سنة الاشتراك
باسم كربلائي	www.facebook.com/BasimKarbalaei	2,941,641	2,917,782	2008
كمال الحيدري	www.facebook.com/alhaydarii	1,734,877	1,719,931	2012
علي الطلقاني	www.facebook.com/talqani	1,552,546	1,786,619	2016
مقتدى الصدر	www.facebook.com/www.jawabna	1,026,432	1,034,628	2015
المفتي الأكبر رافع الرفاعي	www.facebook.com/muftialiraq	812,121	830,799	2012
جعفر الابراهيم	www.facebook.com/ashaq.albrahimi	557,167	678,569	2014
حبيب الكاظمي	www.facebook.com/JwahrH	337,204	343,110	2014
خالد الملا	www.facebook.com/D.Khalid.Almulla	252,459	252,319	2010
محمد حساني صرخي	www.facebook.com/alsrkhy.alhasany	202,145	216,177	2011
شيخ عبد الرضا معاش	www.facebook.com/maash14	137,124	141,131	2010

ملحوظة: حتى 4 أكتوبر/ تشرين الأول، 2019

تعزيز السلام بينما هناك قنواتٌ ذاتُ أثرٍ عكسي. كمثال، أوضح أحدُ من أجريت معهم المقابلات، وهو رجل شيعي من النجف، أن «قناة الفرات الإخبارية تعرض دائما الجانب الإيجابي [للإسلام]، بينما نجد أن قناة الأنوار الإخبارية تفعل العكس، إذ إنها تعرض الصورة المشوهة وغير الصحيحة للإسلام». في حقيقة الأمر، هذه الإجابة ليست مستغربة. فكما ذكرنا سابقا بالتفصيل، ترتبط قناة الأنوار الإخبارية بالشيرازيين، وهو اتجاهٌ دينيٌ موضعُ نقدٍ واسع في النجف. شخص آخر من النجف ساق انتقاداتٍ مشابهةً قائلا:

> بالنسبة للإعلام، هناك بعض المحطات التي تتخصص في عرض حالات القتل والحرب وليس لديها برنامج واحد يدعو إلى السلام والأخلاق والأدب. وينطبق الأمر نفسه على مقدمي البرامج والمضيفين. فكل قناة نراها تنتمي إلى مدرسة فكرية معينة، وهناك مرجع معين يدعمها مثل قناة الأحد، والنجباء، والأنوار، إلخ.

كما ذكرنا سابقا، فإن محطات التلفزيون تعمق تأثير الحسينية من خلال بث الخُطب وغيرها من الأحداث على الهواء مباشرة من المسجد. تلفزيون كربلاء، على سبيل المثال، دائما ما يبث بثا مباشرا من ضريح الإمام الحسين. في كركوك، بدا أن الأفراد يتأثرون أكثر بالقنوات التي تَبثُّ من الخارج أكثر من القنوات العراقية. من أمثلة تلك القنوات قناة النور التي تَبثُّ من تركيا، أو قناة القرآن التي تَبثُّ من المملكة العربية السعودية. (انظر الجدول 2 الذي يعكس الارتباط الإعلامي لمختلف الفاعلين الدينيين).

وسائل التواصل الاجتماعي والحضور في المجال الافتراضي

لقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي منصة مهمة للزعامات الدينية منذ عام 2010. فالفاعلون الدينيون في العراق يستخدمون فيسبوك وتويتر وتليغرام وإنستغرام ويوتيوب ومنصات أخرى لتقديم المحتوى إلى المتابعين، ولإظهار تأثيرهم، وصياغة الخطاب العام. وبالنسبة لحسابات وسائل التواصل الاجتماعي الأكثر شعبية، فلا يباشر الفاعل الديني إدارتها بنفسه، بل من خلال مكتب إعلامي يُسند له هذه المهمة.

ومع أن وسائل التواصل الاجتماعي لا توفر مقياسا كامل الدقة يمكن به قياس تأثير فاعل ديني ما، فإنها توفر بعض الأدوات والطرق التي تساعد في تقييم مستوى تأثير الفرد لا سيما عند النظر إلى هذا التقييم ضمن سياق أوسع.[71] لعل الفاعل الديني الأكثر نفوذا على فيسبوك وتويتر هو المُنشد الشيعي والرادود باسم الكربلائي. إن لدى الكربلائي نحو ثلاثة ملايين متابعا على فيسبوك وما يقرب من تسعمائة ألف على تويتر (هذا التباين يشير إلى ارتفاع شعبية فيسبوك في العراق بالمقارنة بتويتر). على أن تأثير حسابات الكربلائي على وسائل التواصل الاجتماعي يعبر عن الأهمية المتزايدة للحسينية وأسلوب الوعظ المتبع فيها أكثر مما يعبر عن تأثير الكربلائي نفسه كشخصية دينية. ذلك أن ذكرهُ لم يرد في أي من المقابلات. وهذا ما أدى إلى أن يخلو التقرير من تناوله.

جدول رقم (4): تأثير القادة الدينيين البارزين على تويتر

الاسم	اسم الحساب	المتابعون	عدد التغريدات	نقاط مؤشر كلاوت	سنة الاشتراك
باسم الكربلائي	@BasimKarbalaei	697,000	1,424	59	2013
آية الله هادي المدرسي	@HadiAlModarresi	938,000	6,841	62	2010
أحمد الصدر	@Ahmadalsadr	441,000	644	55	2013
عمار الحكيم	@Ammar_Alhakeem	397,000	4,686	56	2012
جعفر الإبراهيمي	@JAlibrahimi	382,000	977	56	2011
طه الدليمي	@tahadulaimi	238,000	13,400	63	2012
مقتدى الصدر	@mu_alsadr	190,000	83	65	2015
اياد جمال الدين	@Ayadjamaladdin	118,000	31,100		2014
كمال الحيدري	@alhaydarii	51,900	2,885	49	2012
قيس الخزعلي	@Qais_alkhazali	106,000	950	61	2013
علي الصدر	@Ali_alsadr1993	36,100	25	51	2016
سيد مهدي المدرسي	@SayedModarresi	26,900	7,853	59	2009
شيخ عبد الرضا معاش	@A_m3ash	378,000	5,882	52	2010
ياسر الحبيب	@Sheikh_alHabib	14,300	40,300	52	2013
مصطفى النجفي	@MustafaNajafi	14,400	14,600	54	2010
محمود حساني صُرخي/صرخي	@alsrkhyalhasany	11,100	20,100	57	2015
حسين قزويني	@Shqazwini	9,128	924	55	2013
مكتب جلال الدين الصغير	@alsagheeroffice	4,873	2,679	48	2011

ملاحظة: البيانات الواردة كما في يوم 23 مايو/أيار، 2018. النقاط المسجلة وفق مؤشر كلاوت سُحبت في مايو/أيار، 2018، وهو الوقت الذي انتهى فيه البحث الأولي لهذا التقرير. يقيس مؤشر كلاوت نشاط المستخدمين، وهو يوفر مقياسا بديلا للمتابعين. فإذا فرضنا أن المتابع لا يُعيد تغريد محتوى من يتابع في كثير من الأحيان، لكنه يعيد تغريد ما يكتبه الفاعل الديني باستمرار، فوَفْقا لمؤشر كلاوت، يُعدُّ ذلك تأثيرا كبيرا. ومع ذلك، إذا كان المتابع يعيد تغريد جميع من يتابع طوال الوقت، فإن إعادة نشر المحتوى يُعدُّ تأثيرا أقل. ومع ذلك، يمكن التلاعب بنتائج مؤشر كلاوت. وهذا يجعلها مفيدة لكنها لا تمثل قياسا متريا دقيقا متكاملا لتبين حجم التأثير على الإنترنت. الحساب السابق لمحمود حساني صُرخي/صرخي كان @AnsrIraq، أنشأه في عام 2011.

بخلاف الكربلائي، فإن القائد الديني الأكثر نفوذا على فيسبوك هو كمال الحيدري، الذي لديه ما يقرب من مليوني متابع (انظر الجدول 3). الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات ذكروا عشرات الحسابات الخاصة بأفرادٍ على وسائل التواصل الاجتماعي كطريقة فعالةٍ للتواصل الديني. وعلى الرغم من الزيادة في عدد المتابعين خلال الانتخابات البرلمانية لعام 2018، فإن حضور على الطالقاني في وسائل التواصل الاجتماعي تجاوز حضور مقتدى الصدر. الطالقاني هو أحد الأشخاص الأكثر ذِكرا في المقابلات من حيث استخدام وسائل التواصل الاجتماعي استخداما ذا تأثير إيجابي.

جدير بالذكر أنه حتى وقت قريب، كان هناك مقياس للتأثير على تويتر مثير للاهتمام، وهو مؤشر كلاوت. على أن هذا المقياس لم يعد متاحا. لم يقتصر مؤشر كلاوت على قياس التأثير من خلال عدد المتابعين، بل أيضا من خلال الأخذ في الاعتبار مدى نشاط هؤلاء المتابعين في الاستجابة للتغريدات. وكلما سجل الشخص درجة عالية على مؤشر كلوت، كان ذلك مؤشرا على أن الفاعل الديني أكثر تأثيرا (انظر الجدول 4). في منتصف عام 2018، وَفقا لمؤشر كلاوت، كان حساب مقتدى الصدر هو الحساب الأكثر تأثيرا لفاعل ديني في العراق على تويتر. وجاء بعدَهُ حساب طه الدليمي، القيادي السني البارز. القائد الديني الثالث في ترتيب الزعماء الأكثر نفوذا كان هادي المُدرسي، وهو يعبر عن اتجاه الشيرازيين الذي ورد ذكره في موضع سابق بهذا التقرير.

وكما ذكرنا سابقا، فإن الاعتماد على وسائل التواصل الاجتماعي كمؤشر للتأثير قد يؤدي إلى المبالغة في تقدير أهمية فاعلين دينيين أو اتجاهات معينة لأن هناك جهات معينة تستهدف وسائل التواصل الاجتماعي في حين أن هناك جهات أخرى لا تستهدفها. على أن التأثير في وسائل التواصل الاجتماعي يظل مجرد مؤشر واحد بين عدد من المؤشرات التي يجب الرجوع إليها عند تقييم مستوى تأثير الفرد. ومع ذلك، في حالة النزوح الجماعي الذي يشهده العراق حاليا، فإن التأثير في وسائل الإعلام وخاصة على وسائل التواصل الاجتماعي قد يوضح ما إذا كان من المتوقع أن يصبح الفرد مؤثرا. بمعنى آخر، من المرجح أن يكون للمجموعات التي لديها حضورٌ جادٌ في وسائل التواصل الاجتماعي تأثير متزايد على مر الزمن.

وقد أسفرت المقابلات والأبحاث المكتبية التي أجريناها عن أن عدد النساء اللائي ينشطن كقائدات دينيات على وسائل التواصل الاجتماعي هو عدد قليل مع أن النساء العراقيات في القطاعات الأخرى قد أصبحن يُحْسِنَّ توظيف هذه التقنيات.[72] خارج العراق، العديد من النساء في المنطقة وجدن أن وسائل التواصل الاجتماعي وسيلة مهمة لتجاوز التضييق الذكوري في عالم التواصل. توضح ذلك منى الطحاوي، وهي مؤلفة مصرية، بقولها:

> عندما أنظر عبر العالم الإسلامي ومختلف المجتمعات المسلمة في جميع أنحاء العالم، فإن العصر الراهن الذي نعيش فيه هو العصر الأكثر إثارة لأن تكوني امرأة مسلمة، وذلك لأسباب عديدة، على أن أهم هذه الأسباب هي وسائل التواصل الاجتماعي التي أتاحت منصة وصَوْتا للنساء على نحوٍ لم نسمع به من قبل.[73]

لعل الاستثناء الوحيد لهذا الاتجاه في العراق هو لبنى أحمد ياسين، وهي ملحدة عراقية، كما ذكرنا سابقا، وتعيش الآن في كاليفورنيا. لبنى تُعَرِّفُ نفسها علنا بأنها «ملحدة» و«مناهضة للدين (الإسلام)» في ملفها الشخصي على تويتر. هذا، وقد لوحظ أنه لم يرد ذِكْرُ لبنى أحمد ياسين في أي من المقابلات التي أجريت ضمن إطار إعداد هذه الدراسة، لكنها تُعدُّ إحدى القيادات الصاعدة في الوسط الملحد بالعراق.

في جميع الأحوال، جميع الفاعلين الدينيين في العراق حريصون على أن يكون لديهم حضورٌ جادٌ على الإنترنت، بما في ذلك المراجع الدينية الأربعة الرئيسية للنجف. الجدول 5 يبين مواقع الإنترنت الخاصة بأربعة علماء بارزين في النجف وعدد اللغات التي تترجم إليها المادة المنشورة عبر مواقعهم. وفي الحقيقة، تُعَدُّ هذه المقارنة مؤشرا آخر على الانتشار المبهر لآية الله العظمى السيستاني.

علي الطالقاني

البحوث التي أُجريت ضمن سياق إعداد التقرير الماثل حلَّت لنا لُغزا مثيرا للاهتمام. لقد ذكر عددٌ كبيرٌ ممن أجريت معهم المقابلات القائد الديني الصاعد علي الطالقاني باعتباره القائد الديني الأكثر تأثيرا في أوساطهم وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، أو باعتباره قائدا دينيا لديه تأثير عابر للطوائف. ومع أن الطالقاني شيعي، فهو يحظى بشعبية وشهرة بين السنة والشيعة، وكذلك بين العديد من الأقليات الدينية التي أجريت مقابلات مع مواطنين ينتسبون إليها.

على وجه التحديد، ورد ذكر الطالقاني في إفادة رجل علماني سني عربي يبلغ من العمر ستة وثلاثين عاما من ديالي. كما ورد ذِكْرُهُ في إفادة رجل سني سبعيني، وهو أيضا من ديالي، إذ أوضح أنه رجلٌ ذو تأثير في أوساط الشيعة «وربما السنة أيضا» لا سيما من خلال المقاطع المرئية الخاصة به على يوتيوب: «خطب الطالقاني نالت تأييدا من كلا الجانبين لما تنطوي عليه من اعتدال». أيضا، ورد ذكر الطالقاني في عدد من المقابلات التي أجريت في كركوك وكربلاء والنجف وبغداد. ينعكس ما ناله علي الطالقاني من تأييد إضافي ناتج عن تأثيره المتصاعد في الزيادة الهائلة في عدد المتابعين لحساباته على وسائل التواصل الاجتماعي والمقاطع المرئية الخاصة به على يوتيوب خلال فترة البحث. أحد من أجريت معهم المقابلات، وهو أيزيدي من بغداد أوضح كيف أن تأثير الطالقاني جعله يشعر «بالاطمئنان» وذلك بسبب إعلاء الطالقاني من شأن القيم الإنسانية الإيجابية. بالإضافة لذلك، ورد ذِكر علي

الطالقاني في إجابة شخص مسيحي من بغداد كأحد القادة الدينيين الشباب الأكثر تأثيرا.

لوحظ أن كلمة «معتدل» وكلمة «إنساني» تكرر ورودهما خلال وصف الطالقاني في المقابلات: «إنه أحد العلماء الشباب الذين انتشرت محاضرات التوعية الدينية التي يلقونها انتشارا فيروسيا على يوتيوب نتيجة أسلوبه المؤثر وأفكاره المتحضرة والمعتدلة. ... وجدير بالذكر أن الشباب من الطائفتين (السنية والشيعية) يتابعونه».

لذلك، فبعد تحليل بضعة مقاطع قصيرة من أحاديث الطالقاني، كان من المفاجئ أن نعلم أن خطابه يعكس معتقدات سائدة نسبيا لا يُنظر إليها باعتبارها تجافي الاعتدال فحسب، بل يمكن إدراجها تحت ما يسميه البعض التطرف الشيعي. ليس هذا فحسب، بل إن خطابه يعكس كذلك وجهات نظر أخرى يمكن وصفها بأنها تنبثق من كراهية النساء. على سبيل المثال، شكا بعض الأشخاص ممن أجريت معهم المقابلات في مدينتي النجف وكربلاء، وهما مدينتان ذواتا أغلبية شيعية ساحقة، من أن الساحة العامة أصبحت مقدسة أكثر من اللازم، وأن مساحة الحرية المتاحة للشباب ضيقة للغاية. ومع أن بعض المواطنين ينظرون إلى حظر الموسيقى على أنه نوع من الجموح في التدين، فإن الطالقاني يقول إن الموسيقى والغناء حرام دينيا. فإذا كان علي الطالقاني رمزا للاتجاهات التي ينتقدها البعض على أنها تُعدُّ تطرفا شيعيا، فما الذي يفسر أنه في الوقت نفسه يُنظر إليه على أنه معتدل؟

ولجعل الأمور أكثر تعقيدا، فإن وجهات نظر الطالقاني حول النساء ليست معتدلة على الدوام. ففي نفس المقطع المرئي تراه يُشوهُ مكانة المرأة بناء على أسباب بسيطة نسبيا، مثل مشاهدة المسلسلات التلفزيونية الأجنبية حتى في ظل مواجهة البلاد أزمة عنف منزلي. أيضا، يبدو أنه يرى أن الرجال أفضل من النساء. في مقاطع مرئية أحدث، يُقر الطالقاني عمل المرأة المسلمة المعاصرة خارج المنزل على أن تلتزم بالتقاليد الإسلامية في اللباس والقيم الاجتماعية.

البعض أرجع نظرة بعض المتابعين للطالقاني على أنه معتدل لاختيار الطالقاني كلمات مثل كلمة إنساني أو معتدل في مَعرِض وصفهِ لنفسه. معنى ذلك أن طريقة عرضه للأمور تؤثر في تصور مشاهديه له. وكثيرا ما يستخدم الطالقاني كلمة إنساني عند بيان أن الدين متوافق تماما مع الحياة الحديثة. على أن مثل هذا التفسير لا ينصف مشاهدي الطالقاني. في الواقع، إن عددا من المقابلات يوضح أن صعود داعش شحذ أبصار العراقيين فيما يتصل بملاحظة اللغة التي يعتبرونها متطرفة.

البعض الآخر أرجع اعتبار الطالقاني معتدلا إلى أن دعوته إلى زيادة التراحم والتعاطف والتسامح بين الطوائف قربته من قلوب الشعب العراقي، وخاصة الأقليات، الذين ربما يكونون مستعدين للتغاضي عن بعض آرائه غير المعتدلة إزاء قضايا أخرى طالما أن خطابه في عمومه يؤيد التعايش. التفسير الثالث لاعتبار أن الطالقاني معتدلٌ هو أن السر يكمن في أسلوب خطابه لا في مضمون كلامه. فأسلوبه هو الذي يكرس هذا التصور عنه كمعتدل.

ولعل التفسير الأكثر إقناعا هو أن الاعتدال أمرٌ نسبيٌّ في كل مجتمع. فأولئك الذين يصفون الطالقاني بأنه معتدل يعتقدون أنه كذلك. وبالنظر لسَعة طيف الآراء المنتشرة في العراق، فإن الطالقاني في الحقيقة أكثر اعتدالا من آخرين. بَيْدَ أنه ليس معتدلا بأي حال من الأحوال بمعايير المجتمع الدولي. على أي حال، إن حالة الطالقاني توضح كيف أنه لا يمكن افتراض ما هو المقصود بمجرد الاعتماد على استخدام مصطلحات مألوفة مثل «معتدل». بدلا من ذلك، يجب أن يُطرح السؤال: ما معنى أن تكون معتدلا في العراق المعاصر على وجه التحديد؟

إن سمعة علي الطالقاني المحيرة تبرز صعوبة اختيار شركاء لجهود السلام والمصالحة. ذلك أن الأفراد الذين يحملون وجهات نظر قد تدعم جهود السلام والمصالحة في مجال من المجالات، قد تكون لديهم آراء غير بَنَّاءة في مجال آخر. إن موضوع الفاعلين الدينيين موضوعٌ معقد. ولا يمكن تصنيف الفاعلين الدينيين بسهولة، لا سيما باستخدام مصطلحات مثل متطرف أو معتدل. ويبقى أن يُلاحظ أن مسألة إشراك الفاعلين الدينيين الذين يتبنون وجهات نظر مثيرة للإشكال هي مسألة تختلف الآراء بصددها. ومن المهم أن يجد صناع السياسات وبناة السلام على حد سواء طرقا للتعاون مع الفاعلين الدينيين على ألا يكون هناك تغاضٍ عن وجهات النظر التي قد تتعارض مع حقوق الإنسان.

جدول رقم (5): مواقع المراجع الدينية الأربعة للنجف

الاسم	الموقع	اللغات
آية الله العظمى علي السيستاني	www.sistani.org	الفرنسية، التركية، الأذربيجانية، الإنجليزية، الأردية، الفارسية، العربية
آية الله العظمى إسحاق الفياض	www.alfayadh.org	الإنجليزية، العربية، الفارسية
آية الله العظمى بشير حسين النجفي	www.alnajafy.com	الإنجليزية، الأردية، العربية
آية الله العظمى محمد سعيد الحكيم	www.alhakeem.com	الإنجليزية، الأردية، الفارسية، العربية

الارتباط بهيئة حكومية

تخصص الحكومة العراقية عددا من المناصب الرسمية للقيادات الدينية بما في ذلك مناصب ترتبط بمختلف أنواع الأوقاف التي تدير المؤسسات الدينية في البلاد. الأوقاف الشيعية والسنية في البلاد تدير المساجد التابعة لها وتمنح التراخيص والتصاريح للواعظين والخطباء بها. كما تدير الأوقاف أصولا دينية أخرى مثل الأضرحة والمقابر والمعاهد، وكذلك الجمعيات الخيرية الإسلامية وشعائر الحج السنوية.

إن المناصب الرسمية المرتبطة بالهيئات الحكومية، والتي يمكن من خلالها ممارسة التأثير الديني، ذات أهمية خاصة بالنسبة للعراقيين السنة. فبناء على أن سُنَّة العراق يفتقرون إلى القيادة المركزية، فإن المناصب الدينية الرسمية المتصلة بالهيئات الحكومية تتيح لبعض قادة السُّنة الوصول إلى مواقع القيادة على المستوى الوطني. من بين هؤلاء المفتي الأكبر مهدي الصميدعي، رئيس هيئة الفتوى الرسمية (دار الإفتاء)[74]، والدكتور عبد اللطيف الهميم، رئيس ديوان الوقف السني في العراق.

الخطاب المعتدل

منذ عام 2001، أدت زيادة التخوف من وجود جهاديين في المجتمعات الإسلامية إلى منح فرصة للقادة الدينيين الذين يقدمون أنفسهم كمعتدلين. وهذا يُترجَم إلى وسيلة للتأثير بالنظر إلى أن القادة الدينيين كثيرا ما نُوجَّهُ لهم الدعوة لحضور ندوات خاصة أو غير ذلك من اللقاءات التي تتيح منصات أوسع. بل إن ذلك قد يُترجَم إلى موارد مادية فعلية. عددٌ كبيرٌ ممن أُجريت معهم المقابلات ذكروا الاعتدال العقائدي الذي يتسم به خطاب بعض القادة الدينيين كعامل لقدرتهم على التأثير.

أحد الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات، وهو مسلم من كركوك لكنه لم يوضح الطائفة التي ينتسب لها، عبر عن وجهة النظر الآتية التي يبدو أنها تحظى بشعبية: «الأمر يتوقف على طبيعة القضية المطروحة؛ لقد وجدنا أن الجمهور يتأثر بالخطاب الديني في بعض الأحيان، وفي نفس الوقت وجدناه غير مكترثٍ به تماما في أوقات أخرى. على أن الخطاب المعتدل يتسم في الوقت الحالي بأنه فعال إلى أقصى حد – خاصة بالنظر إلى حقيقة أن الإرهاب أثر سلبا في صورة الإسلام».

شخص آخر ممن أجريت معهم المقابلات، وهو رجل شيعي من النجف، علق قائلا: «أنا أكن عظيم الاحترام للشخصيات الدينية المعتدلة في الطوائف الأخرى وأشعر أنني مرتبط بها كإنسان. على سبيل المثال، المسيحيون منفتحون للغاية وهم أناسٌ مسالمون، وليس لدي مشكلة معهم. أنا شخصيا لديَّ العديد من الأصدقاء من الطوائف والأديان الأخرى».

ومع أنه من السهل تسجيل بعض النقاط على فئة الإسلام المعتدل، إلا أن لهذه الفئة دورا مهما بين العراقيين. العديد من الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات، بما في ذلك من عَرَّفَ نفسه بأنه شيعيٌ غير ملتزم أو شيعيٌ معتدل أو شيعيٌ ليبرالي أو مثقف لاديني، ذكروا اعتدال آية الله العظمى السيستاني باعتباره سبب حرصهم على استشارته في الأمور الروحية. تقول امرأة من النجف،

> أنا ليبرالية، وأميل نحو الفردية وحرية الاختيار. ... أنا مسلمة أخاف الله لكنني أميل إلى الإقرار لكل شخص بحقه في الحرية. أنا مؤمنة بأنه لا إكراه في أي شيء. فضلا عن ذلك، فإنني لا أَصِمُ أي دين آخر بالكفر. توصلتُ إلى أن الكثير من الأشياء والمفاهيم الموجودة في العقيدة الشيعية مبالغٌ فيها وغير صحيحة. وأنا لا أشارك في هذه الأشياء كثيرا. أصبحتُ أتبنى هذا الموقف بفضل التعليم الذي حصلت عليه. ولا أميل إلى تصور الناس وَفقا لقوالب نمطية، وفيما يتعلق بأموري الدينية، أي العبادات فقط، فأنا عادة ما ألجأ إلى [السيد السيستاني].

الاستنتاجات والتوصيات

إن إحدى عواقب مرحلة تنظيم داعش حدوث تحولات جوهرية في المشهد الديني في العراق. وفي معرض الاستجابة لتلك التحولات، أقدمت القيادات الدينية في بعض المجتمعات الدينية على تعديل أسلوب ممارسة بعض الطقوس الدينية، وتعديل بعض المعتقدات والنصوص. لقد تغيرت أنماط الاصطفاف فيما بين المجتمعات الدينية وفيما بين المؤسسات. بعض المجتمعات الدينية عززت التعاون القائم بينها تعزيزا جادا، بينما تأثرت العلاقات فيما بين مجتمعات دينية أخرى تأثرا سلبيا يبدو أنه سيطول أمَدُه.

لقد تمخض سياق ما بعد داعش عن نشوء فرصٍ جديدةٍ وحاجاتٍ جديدةٍ بالنسبة للفاعلين الدينيين العراقيين للإسهام في تعزيز جهود السلام والمصالحة مستندين في ذلك إلى الموارد المتاحة لهم وإلى آليات تأثيرهم في الوعي الجمعي على النحو المبين في الدراسة. على سبيل المثال، لوحظ في أوساط المجتمع السني على وجه الخصوص أن عددا كبيرا من الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات أفادوا أن الفاعلين الدينيين هم الأكثر تأهيلا للتدخل في النزاعات التي تتضمن إقدام مواطن على اتهام جارٍ له بأنه كان عضوا في داعش. فضلا عن ذلك، أفاد الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات من جميع المجتمعات الدينية التي غطاها البحث أن الفاعلين الدينيين هم أفضل من يمكنهم ريادة مَسْعى منع ظهور نسخة جديدة من أيديولوجية داعش، وكذلك مَسْعى التصدي لأشكال التطرف الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك، أدت عملية إعادة الإعمار التي دُشنت خلال مرحلة ما بعد داعش إلى بروز توترات جديدة داخل المجتمعات الدينية العراقية وعلى مستوى علاقات المجتمعات الدينية ببعضها. وتنبغي معالجة هذه التوترات ضمن سياق الجهود التي تهدف إلى تعزيز السلام. لقد أدى تدفق المساعدات الخارجية إلى اقتتال داخلي بين المسيحيين وغيرهم من الأقليات. أما في الساحة الشيعية، فهناك خشية، لا سيما بين الشيعة المقيمين في جنوب البلاد، أن يذهب المزيد من المساعدات الخارجية المخصصة لإعادة الإعمار للمجتمعات السنية بينما لا يحظون هم بموارد تتيح لهم تنمية متكافئة. كما يخشى الشيعة عدم الاعتراف بالتضحيات التي قدمها أبناء طائفتهم الذين قُتلوا في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية. وعليه، فإنه يمكن للفاعلين الدينيين أن يلعبوا دورا في التخفيف من حدة هذه النزاعات وغيرها، لا سيما النزاعات التي لها بعد ديني أو النزاعات التي تحصل بين أطراف ذوي هويات دينية مختلفة.

وإذ تبرز هذه الفرص الجديدة، فإن هناك محاذير هامة تتصل بها ينبغي التنبه لها. بادئٌ ذي بَدء، ينبغي للفاعلين الدينيين تَوَخِّي الحذر خلال بذل أي جهود تهدف إلى التخفيف من حدة النزاعات، وبناء المصالحات داخل المجتمعات الدينية وفيما بينها، ودعم السلام على نطاق أوسع. كما ينبغي للفاعلين الدينيين توخي الحذر خلال بذل أي جهود تهدف إلى دعم الشراكات التي تؤسس بينهم وبين صنّاع السياسات المحليين والدوليين وبناة السلام. بالإضافة لذلك، ينبغي لجهود الفاعلين الدينيين أن تراعي قلق المجتمع من انخراطهم في الاستقطابات السياسية الحزبية. كما ينبغي لجهودهم أن تراعي كيف يتعزز تأثير الفاعلين الدينيين أو يتضرر بعلاقاتهم بأطراف أجنبية، وبحضورهم على الإنترنت، وبتلبيتهم حاجات مجتمعاتهم.

على نطاق أوسع، إن صنّاع السياسات ومنفذيها بحاجة أن يضمنوا أن هوية الأطراف التي يؤسسون الشراكات معها في الساحة الدينية وطريقة تأسيس تلك الشراكات تعكس الهدف الذي يسعون إلى تحقيقه وهو بناء دولة عراقية ومجتمع عراقي تتحقق فيهما المشاركة الشاملة لكل الأطراف وتتعايش فيهما مكونات المجتمع المتنوعة بسلام.

إشراك الفاعلين الدينيين

كشفت المقابلات التي أجريت عن أن تصورات العراقيين للمصالحة تصب في ثلاثة اتجاهات. أولا، يميز العراقيون بين المصالحة السياسية أو الوطنية وبين عمليات المصالحة المجتمعية أو المحلية. ثانيا، يرغب العراقيون في إشراك القيادات الدينية في المصالحة المجتمعية (على المستوى المحلي)، لكن ليس في المصالحة السياسية (على المستوى الوطني)، (أو في السياسة الوطنية عموما). أخيرا، يرغب العراقيون أن تشارك الأقليات الدينية مشاركة جوهرية في جهود المصالحة المجتمعية.

كثير من العراقيين أصبحوا ينظرون إلى عمليات المصالحة السابقة باعتبارها مراتع فساد. لذلك، هناك حاجة ماسة لإنشاء آليات مؤسسية لتحصين جهود المصالحة على المستوى الوطني من محاولات تيسير الحصول على مكاسب شخصية لأولئك المشاركين فيها.

لقد بدأت القيادات الدينية في العراق بالمشاركة فعلياً في الجهود التي تصب في تعزيز المصالحة في مجتمعاتهم، وأحيانا في الجهود التي تصب في تعزيز المصالحة بين المجتمعات الدينية مستلهمين المبادئ الدينية ومستفيدين من الشعائر والمناسبات الدينية لتحقيق المصالحة. كثير من الجهود التي بذلها الفاعلون الدينيون كانت ظرفية ونتجت عن مبادرات شخصية، ومع ذلك فقد كانت جهودا واعدة. على الرغم من ذلك، فقد أبدى بعض الفاعلين الدينيين حذرا من المشاركة في الجهود الرسمية للمصالحة، وهو حذرٌ مُفهوم. كثير من العراقيين أصبحوا ينظرون إلى عمليات المصالحة السابقة باعتبارها مراتع فساد. لذلك، هناك حاجة ماسة لإنشاء آليات مؤسسية لتحصين جهود المصالحة على المستوى الوطني من محاولات تيسير الحصول على مكاسب شخصية لأولئك المشاركين فيها. على المستوى الوطني، قد يكون الفاعلون الدينيون قادرين على أن يمارسوا دور الضامن لعمليات مصالحة أكثر رسمية للتأكد من أن هذه العمليات تخضع للمساءلة استنادا لمجموعة من المبادئ على رأسها الشفافية والمساءلة المجتمعية. لكن يُشترط ألا يحصل تشابك بين دور الفاعلين الدينيين وبين العمليات السياسية على نحوٍ يشوهُ صورتهم في الوعي الجمعي. على المستوى المحلي، بينما تحوم الشكوك حول مصداقية بعض السياسيين، فإن الفاعلين الدينيين الذين يتمتعون باحترام واسع وتأثير كبير عادة ما تكون لديهم المصداقية التي تؤهلهم أن يشرفوا على عمليات المصالحة أو أن يلعبوا دور المُيسر في تلك العمليات.

إن الشراكات التي تؤسس مع الفاعلين الدينيين فيما يتصل بجهود المصالحة يجب أن تراعي الأمور الآتية.

أولا، ينبغي لصنّاع السياسات ومنفذيها مراعاة التعقيدات الموجودة في المجتمعات الدينية، وكذلك التعقيدات ذات الصلة بعلاقات تلك المجتمعات ببعضها البعض. كما ينبغي لصنّاع السياسات ومنفذيها مراعاة كيفية تقاطع أدوار الفاعلين الدينيين والمؤسسات الدينية مع أدوار الفاعلين السياسيين، ومع المؤسسات السياسية، ومع القضايا التي تؤثر في النزاع الأوسع في العراق، وذلك وَفقا لما ورد في هذا التقرير.

إن تأسيس الشراكات بين الأطراف الدولية المَعنية وبين الفاعلين الدينيين في العراق يؤثر في نفوذ الفاعلين الدينيين وفي نظرة مجتمعاتهم لهم. إن تحالفات الفاعلين الدينيين العراقيين مع الفاعلين الأجانب كالدبلوماسيين وبناة السلام والقيادات الدينية العالمية يمكن أن تؤدي إلى بروز أصواتٍ ذات مصداقية وذات تأثير أكبر، وإلى مبادراتٍ فعالة للحد من العنف وتحقيق المصالحة شريطة أن تدار هذه التحالفات بحكمة. بناء على ذلك، لابد من بذل عناية خاصةٍ لتبين أيٍّ من الشراكات التي تؤسس مع أطراف أجنبية هي شراكات مفيدة، وفي أي ظروف وذلك لضمان ألا تُؤدي الشراكات مع الخارج إلى الانتقاص من مصداقية الفاعلين الدينيين. على سبيل المثال، لوحظ أن دعم السعودية لجهود الزعماء المسيحيين في المصالحة كانت مفيدة. في المقابل، نظر البعض لدعم إيران للقيادات الشيعية فيما يتصل بجهود المصالحة في البصرة على أنه ناتج عن دوافع سياسية. وعلى وجه الخصوص، نجد أن القادة الدينيين الذين ينظر لهم المجتمع على أنهم على علاقة مع الولايات المتحدة أو الغرب تتأثر مكانتهم سلبا في الوعي العام بسبب ذلك، ويُخرجهم المواطنون من حساباتهم، وتتراجع قدرتهم على التأثير تراجعا حادا.

بجانب ذلك، من الضروري بذل جهد إضافي لاكتشاف ودعم الفاعلين الدينيين من النساء والشباب الذين يلعبون أدوارا مؤثرة في مجتمعاتهم في دعم السلام. وذلك اعترافا بقدرة هؤلاء الفاعلين في التأثير في صياغة المواقف والسلوكيات المجتمعية، ولضمان ألا يؤدي إشراك الفاعلين الدينيين إلى تعزيز الهيمنة الذكورية. وبالمثل، ينبغي لجهود إشراك الفاعلين الدينيين أن تعطي الأولوية لإشراك قيادات الأقليات الدينية نظرا لما يواجهونه من مخاطر متزايدة والأولويات الخاصة بهم، ولضمان ألا تؤدي جهود إشراك الفاعلين الدينيين إلى مضاعفة هيمنة المجتمعات الإسلامية التي تتسم بالأغلبية العددية.

لقد برزت مواقف متشككة بين أوساط المجتمعات العراقية بشأن انخراط الفاعلين الدينيين في جهود السلام. وعليه، فقبل توسيع نطاق ذلك الانخراط أو تعزيزه، ومن أجل تيسير الحوار بين الفاعلين الدينيين ومجتمعاتهم المحلية، سيكون من الحكمة فهم هذه الشكوك وضمان تفهم الفاعلين الدينيين لطموحات مجتمعاتهم ومخاوفها وبالعكس. ولعله من الضروري عدم الضغط على الفاعلين الدينيين لإصدار بيانات متكررة حول قضايا الشأن السياسي على المستوى الوطني لأن ذلك قد ينتقص من قدرتهم على التأثير ومصداقيتهم أمام أفراد المجتمع. فعلى وجه

عمار الحكيم، رئيس تيار الحكمة، يتحدث خلال قداس عيد الميلاد في كنيسة مار جرجس الكلدانية الكاثوليكية في بغداد يوم 25 ديسمبر/كانون الأول، 2018. (تصوير ثائر السوداني/رويترز).

العموم، يفضل المجتمع أن تظل قياداته الدينية أكثر تركيزا على القضايا المتصلة بالشواغل الروحية والشواغل المجتمعية والمحلية.

في سياق آخر، يمكن لمبادرات تعزيز المصالحة بالشراكة مع الفاعلين الدينيين أن تشمل التعاون وتنسيق الحضور في الساحة العامة عبر وسائل الإعلام. وعلى وجه الخصوص، يمكن لبرامج التعاون هذه أن تركز على التنسيق مع الفاعلين الدينيين الذين هم بالفعل يلبون حاجات مجتمعاتها المتضررة من النزاع، أو الذين يرغبون أن يشاركوا في تلبية حاجات مجتمعاتهم مشاركة أكبر وأوسع. ويمكن بذل هذه الجهود داخل المجتمعات الدينية. كما يمكن بذلها على مستوى التعاون بين المجتمعات الدينية، حيثما كان ذلك ملائما، بحيث تؤدي إلى تعميق التفاهم وتوطيد العلاقات بين أتباع الديانات والطوائف. وقد تتطلب الشراكات التي تُؤسَّسُ لدعم هذا المَسْعى تصميم وتنفيذ برامج لبناء القدرات، وتصميم برامج المعونة، وتصميم وتنفيذ المشاريع. وقد تتطلب الشراكات أيضا تبادل الزيارات مع بلدان شهدت سياقات مناظرة، أي بلدانٍ مَرَّت بمرحلة ما بعد النزاع ولعب خلالها الفاعلون الدينيون دورا حيويا في جهود المصالحة.

ويمكن أن ينبثق عن ذلك عددٌ لا يُحصى من المشروعات. على سبيل المثال، يمكن تعزيز الجهود لتوفير دعمٍ للتعافي من الصدمات الناتجة عن النزاع، وذلك باستخدام صيغ العلاج التقليدية، وبالاستفادة من الشعائر الدينية وطرق الاستشفاء التي تسهل التعافي، وذلك نَسْجا على منوال نهج بابا شيخ في المجتمع الأيزيدي. كما يمكن توسيع نطاق الاستفادة من الرقيا أو طرق الاستشفاء الإسلامية لمعاونة الأفراد في التعامل مع الصدمات التي تعرضوا لها، ومعاونة المجتمعات في التعامل مع التصدعات التي أصابتها.

هذا، ويمكن تقديم الدعم للفاعلين الدينيين لتطوير قدراتهم على فهم حاجات مجتمعاتهم وتقديم خدمات المناصرة أمام الجهات الرسمية المحلية لتلبية تلك الحاجات. ويشمل ذلك تلبية حاجات أبناء دياناتهم وطوائفهم وحاجات أبناء الديانات والطوائف الأخرى الذين يجمعهم بهم العيش المشترك. وقد يجدر بجهود التيسير

أن تركز على تسهيل عودة المجتمعات النازحة، وإيجاد بيئة مرحبة وآمنة لها، وكذلك مساعدة تلك المجتمعات النازحة على إعادة البناء، وتوفير الإغاثة والدعم لها على المدى القصير لاستعادة سبل تَعَيُّشِهم، والمساعدة في تخفيف حدة النزاعات التي تنشأ بين المجتمعات العائدة من النزوح وأولئك الذين لم يغادروا.

إن المبادرات التي تهدف إلى المساعدة في تخفيف النزاعات المحلية داخل المجتمعات الدينية وعلى مستوى علاقات المجتمعات الدينية ببعضها تنطوي على فرص وإمكانات حقيقية. أبرز صور هذه النزاعات الخلافات التي حصلت فيما يتصل بالسياسة الغذائية في جميع أنحاء الشمال، والخلافات التي حصلت فيما يتصل بأوضاع ذلك العدد المتزايد من الأفراد الذين يُعرِّفون أنفسهم بأنهم ملحدون أو الذين ينتقدون المعتقدات والممارسات الدينية السائدة. ومن صور هذه النزاعات أيضا التوترات المرتبطة بتوصيل المساعدات الخارجية (خاصة في المناطق التي كانت خاضعة لسيطرة تنظيم داعش)، والتوترات بين أتباع الشيرازيين وأتباع مرجع النجف. كما تشمل هذه النزاعات غير ذلك من خلافات أشرنا إليها في هذا التقرير. بالإضافة لما سبق، فمع عودة المجتمعات المسيحية إلى المناطق التي كانت في السابق تحت سيطرة داعش، يجب على بناة السلام اغتنام فرصة اللحظة المسكونية ـــ التي تتوحد خلالها الطوائف المسيحية ـــ من أجل السعي لتخفيف حدة الصراع الداخلي بين الطوائف المسيحية.

قد يجدر أن تكون هناك برامج أخرى تهدف إلى إيجاد بيئة تتسم بالتعايش السلمي والثقة المتبادلة والاحترام. من أمثلة الجهود الرصينة المنشودة في هذا الصدد الآتي: أولا، تأسيس حوار مستمر ومنتظم بين أتباع كل مجتمع ديني، وفيما بين المجتمعات الدينية لمعالجة المخاوف التي تنطوي على حساسية أو الافتراضات السائدة التي تولد عدم الثقة. ثانيا، التعاون فيما بين المجتمعات الدينية لمعالجة المخاوف المشتركة على المستوى المحلي، وبغية إعلاء صوت المطالبة بعدم التمييز على أساس الهوية وعلى أساس الممارسة الدينية على المستوى الوطني. ثالثا، إقدام كلٍّ من المجتمعات الدينية على تطوير الأفكار والممارسات التي تعزز فهم التنوع الديني في العراق واحترامه.

أخيرا، قد يكون التعاون مثمرا كذلك إذا ما تضمن التنسيق مع السلطات الدينية التي تستخدم أساليب مبتكرة فيما يتصل بتطوير الفتاوى، وذلك بغية رصد الأحكام الشرعية التي تحض على المصالحة والتعايش والسلام، وصياغة التوجيهات الشرعية التي تحض على ذلك.

في سياق آخر، قد يجدر إنشاءُ منصاتٍ إعلاميةٍ لتسهيل إشراك أتباع الأديان المختلفة، وزيادة فهم طبيعة المجتمعات الدينية المتنوعة في العراق، ودعم الحرية الدينية لأصحاب المعتقدات في جميع المجتمعات الدينية ولمن لا يحملون معتقدا. أيضا، هناك حاجة إلى برنامج تلفزيوني يوفر منصة لإشراك جميع المجتمعات الدينية وبناء جسور التفاهم بينها. ولا شك أن وسائل التواصل الاجتماعي ستمثل هي الأخرى منصة مهمة لإنجاح هذا المَسعى.

هذا، ويجب تطوير برامج خاصة للتوعية ولإعادة الدمج في المناطق المحررة من تنظيم داعش. ولعل أبرز ما ينبغي إيلاؤه الأولوية في هذا الصدد هو إعادة دمج مجتمعات الأقليات وكذلك أفراد أسر أعضاء داعش الذين لم يكونوا جزءا من داعش لكنهم تعرضوا للإقصاء بسبب صلتهم تلك. وبالنسبة لكل من الطرفين المذكورين، يجب إعادة بناء جسور الثقة فيما بينهم وبين مجتمعاتهم حتى يتمكنوا من العودة إلى مجتمعاتهم وسبل كسب عيشهم.

وفي تحديد الفاعلين الدينيين الذين ينبغي تأسيس شراكات معهم فيما يتصل بجهود المصالحة، ينبغي لصناع القرارات ومنفذيها مراعاة أن طبيعة الفاعلين الدينيين طبيعة معقدة، كما هو حال مجتمعاتهم. فالفاعلون الدينيون الذين قد يتسمون بالاعتدال في بعض الجوانب قد يأتون بأفعالٍ تنطوي على إهدار لحقوق الإنسان في جوانب أخرى. ويجدر أن يشمل إشراك الزعماء الدينيين الذين يمثلون جميع المجتمعات الدينية إشراكا جادا ودون تأخير. ويأتي على رأس قائمة الشركاء ذوي الأدوار الهامة الفاعلون الدينيون الذين يحسنون التواصل مع مجتمعاتهم، والذين يُحسنون تأسيس الشراكات معها، على نحو يضمن امتلاك العراقيين لعمليات السلام والمصالحة.

إن الفاعلين الدينيين الذين لديهم حضور إعلامي قوي على الإنترنت – أو الذين لديهم استعداد لبناء حضور قوي على الإنترنت – يمكن أن يكونوا شركاء ذوي تأثير واسع في بعض المشروعات، لا سيما تلك المشروعات التي تهدف إلى تعزيز السلوكيات التي تنطوي على احترام التنوع والسرديات الدينية الداعمة للسلام. بالمقابل، وبالنسبة للفاعلين الدينيين الذين ينظر لهم المجتمع على أنهم يتباهون بالثراء، أو الذين يتسم سلوكهم بعدم التواضع، فإن احتمالات وثوق مجتمعاتهم بهم ضئيلة، وإن احتمالات تمتعهم بقدرة على التأثير وسط مجتمعاتهم ضئيلة.

هذا ولا شك أن جهود المصالحة ستستفيد من إشراك القيادات الدينية النسائية التي لديها قدرة على التأثير على المستوى المحلي، والتي يستند تأثيرها إلى الانتساب لعائلة عُرفت بأنها صاحبة دور ديني وإلى التأهيل الديني. على سبيل المثال، في الساحة الشيعية، يمكن للنساء اللائي يمارسن دور المُلَّاية أن يصبحن شريكات رئيسيات

لا سيما فيما يتصل بتلبية حاجات النساء العراقيات على مستوى السلام والمصالحة. وباستطاعة الراهبات الكاثوليك فِعل ذلك أيضا، وربما النساء اللائي ينتسبن لعائلات عُرفت بأنها صاحبة دور ديني. هذا، وتعتبر وسائل التواصل الاجتماعي موردا غير مُستغلٍ حتى الآن بالنسبة للقيادات الدينية النسائية العاملة في بناء السلام ليتسنى لهن التأثير من خلال الأتباع، فضلا عن أن ذلك يتيح للقيادات الدينية النسائية تجاوز المؤسسات الأبوية والأنظمة الأبوية التقليدية.

إن صنّاع السياسات ومنفذيها بحاجة إلى إدراك أن الزعماء الدينيين الشيعة، في بعض الأحيان، هم الطرف الذي يُرسي القواعد التي تحكم الحيز العام والتي تلتزم بها المجتمعات الدينية الأخرى. وعليه، فإنه قد تكون للتدخلات التي تصمم بعناية بالتشاور مع القيادات الشيعية نتائج إيجابية أوسع. هذا، وإن التفكير خارج حدود العراق أمرٌ ضروريٌ عند النظر في إشراك الجهات الدينية في جهود بناء السلام. كذلك من الضروري تبين تأثير الشخصيات الدينية العالمية في المجتمع العراقي وما تحظى به من شعبية والاستفادة من ذلك. على أنه تنبغي مراعاة الكيفية التي قد يؤثر بها التواصل بين هذه الشخصيات الأجنبية وبين الفاعلين الدينيين المحليين في شرعية الفاعلين الدينيين.

إشراك المؤسسات

تعتبر المؤسسات الحكومية، مثل وزارة الشؤون الدينية، ومجلس دار الإفتاء، والأوقاف السنية والشيعية، شركاء محتملين فيما يتصل بالمصالحة وبناء التماسك الاجتماعي والتسامح والاحترام في المجتمعات الدينية. وقد تكون الكليات والمعاهد الدينية أفضل من قد يتسنى له نشر القيم التي تعزز بناء السلام بين طلابها. كما أن الكليات والمعاهد الدينية قادرةٌ على أن تُتيح للملتحقين بها استيعاب مفاهيم السلام وأسس فض النزاعات استيعابا علميا متكاملا. كما يمكن الاستفادة من الكليات والمعاهد الدينية في تأهيل الفاعلين الدينيين العاملين في القطاع الرسمي بالدولة وتدريبهم.

أما خارج المؤسسات الرسمية للتعليم الديني، فقد يجدر بجهود المصالحة أن تستفيد من الحسينيات التي ازدادت أهميتها في الساحة الشيعية. وستكون هناك حاجة أيضا إلى جهود تستهدف ذلك العدد المتزايد من الأفراد الذين نسميهم شيعة مترددين. فهؤلاء من غير المرجح أن يستفيدوا من التعاون بين صناع السياسات وبناة السلام وبين الحسينيات.

بجانب ذلك، إن نشر المعرفة بالأديان في جميع أنحاء البلاد يجب أن يكون أولوية. في هذا الصدد، لنا أن نستحضر أن القنوات التلفزيونية والإذاعية الدينية تحظى بمتابعة كبيرة في المجتمع العراقي. وهي توفر منصة للفاعلين الدينيين للتأثير في سلوكيات المواطنين وممارساتهم. ليس هذا فحسب، بل إنها توفر أيضا برامج تعتبر مداخل فعالة لنشر قيم المصالحة وبناء السلام من خلال رسائل إعلامية مُعدة. هذه البرامج تعتبر مساحات يستطيع الفاعلون الدينيون استخدامها للتأثير في المجتمع تأثيرا رصينا.

ومن الطرق الأخرى لإشراك المؤسسات الدينية تأسيس الشراكات مع كليات الشريعة والمعاهد الدينية وغيرها من المؤسسات التعليمية الدينية لمساعدتها على تصميم مساقات تتناول الحوار وفض النزاعات وبناء السلام والتعافي من الصدمات. كما يمكن للمدارس الحكومية أن تدمج موضوع بناء السلام في المناهج الدراسية. إن التعاون مع المعاهد الدينية والمدارس، لا سيما تلك التي بدأت تجري مراجعات وتعيد النظر في الكتب المقررة ومناهج التعليم، يعتبر فرصة أخرى خصوصا للسعي إلى إزالة المبررات الدينية للعنف تجاه المجتمعات الدينية الأخرى وإدراج نصوص دينية تحض على التسامح والاحترام فيما بين المجتمعات الدينية. ويمكن استكشاف كيفية تأسيس شراكات مع الحسينيات كي تستحدث مواد تعليمية حول السلام، وبناء القدرات في مجال فض النزاعات، وإيجاد مساحة للحوار بين الأديان، وبناء التسامح والاحترام بين الطوائف، بما في ذلك بين النساء والشباب.

بجانب ذلك، يمكن استكشاف الفرص المتاحة للتعاون بين بناة المصالحة والسلام وبين الحركات الدينية الجديدة متعددة الطوائف، مثل حركة الداعي رباني في ديالي والطريقة الصوفية الكسنزانية. هذه الجهود يمكن أن تتيح فرصة أخرى لتأسيس شراكات مع مجموعات بدأت بالفعل تتصدى للتوترات القائمة بين أتباع الطوائف المختلفة. وعندما تُنجز الهيئاتُ الحكومية مثل وزارة الشؤون الدينية أو الأوقاف السنية أو الشيعية توحيد الخطب، ستتاح فرصة أخرى للعمل مع هذه المؤسسات لتشجيع نشر القيم التي تشجع على السلام والتسامح والاحترام والمصالحة بطرق لا تقيد حرية التعبير أو الحرية الدينية. ولا شك أن بناء الشراكات مع الشبكات الدينية الكبرى يمكن أن تكون خطوة بناءة، خاصة تلك الشبكات التي تشارك في تقديم الخدمات الاجتماعية، وذلك لدمج البرامج التي تشجع على التسامح والاحترام والتماسك الاجتماعي والمصالحة. وقد يكون من الممكن العمل مع هذه الشبكات في بناء الثقة بين المجتمعات الدينية في المناطق التي سبق أن سيطر عليها تنظيم داعش.

أما الخيار الأخير فهو إنشاء آلية مؤسسية تتيح للعراقيين وتمكنهم من أن يكون لهم رأي في اختيار ممثليهم والنواب الذين ينوبون عنهم في حوارات المصالحة على المستويين الوطني والمحلي. ويجب ألا يقتصر هؤلاء الممثلون والنواب على الفاعلين الدينيين، بل يجدر أن يشملوا أيضا زعماء القبائل وممثلي المجتمع المدني وممثلي المجتمع الاقتصادي وممثلي المجتمع السياسي.

ملاحظات

يعرب المؤلف عن امتنانه للعديد من الأشخاص الذين علقوا على مسودات هذا التقرير، بما في ذلك الزملاء في معهد الولايات المتحدة للسلام، وخاصة سرهنك هاماسعيد، وسوزان هايوارد، وأسامة غريزي، وأندرو سنو، وبالواشا كاكار، وجاكلين ويلسون. لقد بذلت زينب قاسم، وعمار الخطيب، وحيدر الإبراهيمي، وجميع العاملين بمنظمة سند لبناء السلام جهودا استثنائية في إدارة الجزء الميداني لهذا المشروع. وقد أشرف ريتشارد ووكر على جميع جوانب هذا المشروع الاعتيادية والإبداعية. هيلين غلين كورت حررت نص التقرير تحريرا استثنائيا. كما استفاد التقرير استفادة كبيرة من مراجعة النظراء التي أجراها الزملاء الدكتور عباس كاظم والدكتور حامد الغانم بالإضافة لمراجعين آخرين. وجدير بالملاحظة أن المؤلف هو من يتحمل المسؤولية الكاملة عن الأخطاء التي لا مفر منها.

1. يقدم بابا شيخ تقارير فنية للزعيم السياسي والديني للطائفة، المير أو الأمير الأيزيدي.
2. إيما غراهام-هاريسون، "'I was sold seven times': the Yazidi women welcomed back into the faith," («تعرضتُ للبيع سبع مرات»: الترحيب بالنساء الأيزيديات لدى عودتهن لطائفتهن»)، الجارديان، 1 يوليو/ تموز، 2017، www.theguardian.com/global-development/2017/jul/01/i-was-sold-seven-times-yazidi-women-welcomed-back-into-the-faith.
3. تشارلز تريب، *A History of Iraq* (تاريخ العراق) (مطبعة جامعة كامبريدج، 2002)، 12. يعتمد هذا القسم إلى حد كبير على تريب وكذلك على كتاب *Guardians of Shi'ism* (ولاة أمر التشيع) لإلفاير كوريوز، (مطبعة جامعة إدنبره، 2016).
4. تريب، *History of Iraq* (تاريخ العراق)، 75.
5. تريب، *History of Iraq* (تاريخ العراق)، 123.
6. يرى الباحث صموئيل هيلفونت، وهو محق، أن البعثيين لم يكونوا علمانيين بالمعنى التقليدي، لكنهم دعموا انخراط الدين طالما كان خاضعا لمصالح القومية العربية.
7. انظر صموئيل هلفونت، *Compulsion in Religion: Saddam Hussein, Islam, and the Roots of Insurgencies in Iraq* (الإكراه في الدين: صدام حسين، الإسلام، وجذور التمرد في العراق) (مطبعة جامعة أكسفورد، 2018).
8. أوزوم يسيلتاس، ديفيد رومانو، ومحمد غورزيز، محرران، "Iraq, Arab Nationalism, and Obstacles to Democratic Transition," *in Conflict, Democratization, and the Kurds in the Middle East: Turkey, Iran, Iraq, and Syria*. («العراق، القومية العربية، ومعوقات التحول الديمقراطي»، في الصراع الديمقراطية والأكراد في الشرق الأوسط: تركيا وإيران والعراق وسوريا) (سبرينغر، 2014)، 51.
9. هيلفونت *Compulsion in Religion* (إكراه في الدين)، 4.
10. ديلان أودريسكول، "Autonomy Impaired: Centralisation, Authoritarianism and the Failing Iraqi State"، («الحكم الذاتي المعاق: المركزية، الاستبداد والدولة العراقية الفاشلة»)، إلاثنوبوليتكس 17، رقم 4 (2017): 315-22.
11. ديفيد كوتشينو، "As ISIS is driven from Iraq, Sunnis remain alienated," («بينما يُطرد داعش من العراق، يبقى السنة معزولين»)، نيويورك تايمز، 26 أكتوبر/ تشرين الأول، 2017.
12. تقرير وزارة الخارجية الأمريكية، *2017 حول الحرية الدينية الدولية (Report on International Religious Freedom)*، 29 مايو/ أيار، 2018، www.state.gov/reports/2017-report-on-international-religious-freedom.
13. علي المعموري، "How Iraq just legalized discrimination of minorities," («كيف شرّع العراق لتوه التمييز ضد الأقليات»)، المونيتور، 19 نوفمبر/ تشرين الثاني، 2015، www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/11/iraq-law-id-discrimination-miniorities.html.
14. تريب، *History of Iraq* (تاريخ العراق)، 31.
15. تقديرات وزارة الخارجية الأمريكية، تقرير *2017*.
16. تقرير وزارة الخارجية الأمريكية، *2017*.
17. ورد في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية، *2017*.
18. لورانس لور، *Transnational Shia Politics: Religious and Political Networks in the Gulf* (السياسة الشيعية العابرة للحدود: الشبكات الدينية والسياسية في الخليج) (مطبعة جامعة كولومبيا، 2008)، 73.
19. معهد الولايات المتحدة للسلام "Religious Landscape Mapping in Conflict-Affected States," («رسم خريطة المشهد الديني في الدول المتأثرة بالصراع»)، www.usip.org/programs/religious-landscape-mapping-conflict-affected-states.
20. دليل الأسئلة متاح على الموقع http://annmariewainscott.com/iraq.
21. كاتيا ميجاشيفا وبريان فريدريك، محرران، *Religion, Conflict, and Stability in the Former Soviet Union* (الدين، الصراع، والاستقرار في الاتحاد السوفيتي السابق) (مؤسسة راند، 2018)، www.rand.org/pubs/research_reports/RR2195.html.
22. ستيفن كالين، "Lebanese patriarch makes historic Saudi visit amid Hariri crisis," («البطريرك اللبناني يقوم بزيارة سعودية تاريخية في خضم أزمة الحريري»)، رويترز، 13 نوفمبر/ تشرين الثاني 2017. www.reuters.com/article/us-saudi-lebanon-patriarch/lebanese-patriarch-makes-historic-saudi-visit-amid-hariri-crisis-idUSKBN1DD2F6.
23. لقد فاق عدد الأصوات التي حصل عليها المالكي إلى حد كبير أصوات الصدر، لكن أداءه ظل أفضل بكثير من أداء أربعة وعشرين مرشحا آخرين لديهم خبرة سياسية.
24. سكوت بيترسون، "In push for post-ISIS reconciliation, Iraqi leaders still a sticking point," («مسعى لإنجاز المصالحة خلال مرحلة ما بعد داعش، لم يزل القادة العراقيون حجر عثرة»)، كريستيان ساينس مونيتور، 12 سبتمبر/ أيلول، 2017، www.csmonitor.com/World/Middle-East/2017/0912/In-push-for-post-ISIS-reconciliation-Iraqi-leaders-still-a-sticking-point.

25. في الواقع، حتى القاعدة كانت تعي الحاجة إلى الزعماء الدينيين الذين لديهم تأثير في ساحات متعددة. كتب الظواهري إلى الزرقاوي: «هنا، أشدد مرة أخرى لك ولإخوانك على الحاجة إلى توجيه العمل السياسي على قدم المساواة مع العمل العسكري، وذلك من خلال التحالف والتعاون وجمع كل قادة الرأي والنفوذ في الساحة العراقية». ويستمر الظواهري في كلامه ليبرز الدور الهام للعلماء. انظر ديفيد آرون، *In Their Own Words: Voices of Jihad-Compilation and Commentary* (بكلماتهم الخاصة: أصوات الجهاد – تجميعات وتعليقات) (مركز راند للسياسة العامة في الشرق الأوسط، 2008)، 252.

26. إيلي أبو عون، "The Long Road Back for Iraq's Minorities," *War on the Rocks* «الطريق الطويل للأقليات، في العراق»، الحرب على الصخور، 12 مارس/ آذار، 2018، www.warontherocks.com/2018/03/the-long-road-back-for-iraqs-minorities/.

27. مارغريت كوكر وفالح حسن، "Iraq Prime Minister Declares Victory Over ISIS," («رئيس وزراء العراق يعلن النصر على داعش»)، نيويورك تايمز، 9 ديسمبر/ كانون الأول، 2017، www.nytimes.com/2017/12/09/world/middleeast/iraq-isis-haider-al-abadi.html.

28. إبراهيم المرعيثي، "Does an Iraqi Sunnistan really exist?"، («هل توجد سنة-ستان عراقية بالفعل؟») أوازيس، 24 أكتوبر/ تشرين الأول، 2018، www.oasiscenter.eu/ar/sunni-muslims-isis-iraq.

29. لافداي موريس، "Watch: Fists fly at Iraqi session on fighting Islamic State," («شاهد: القبضات تتطاير في الجلسة البرلمان العراقي حول مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية»)، واشنطن بوست، 19 أغسطس/ آب، 2015، www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/2015/08/19/watch-fists-fly-at-iraqi-session-on-fighting-islamic-state.

30. سعد سلوم، "Iraq—Condition of Kaka'is," («العراق – وضع الكاكائيين»)، المونيتور، 13 يوليو/ تموز، 2017. في وقت نشر هذا التقرير، لم تكن جميع أرشيفات المونيتور متاحة على الإنترنت.

31. سلوم، "Iraq—Condition of Kaka'is," («العراق – وضع الكاكائيين»).

32. جون بونتيفكس، "Mass Comes Back to Mosul," («القداس يعود إلى الموصل»)، وكالة الأنباء الآشورية الدولية، 3 يناير/ كانون الثاني، 2018، www.aina.org/news/20180103115223.htm.

33. ديفيد إياكونانجيلو، "Did the news media overlook the world's biggest religious gathering?" («هل أغفلت وسائل الإعلام الإخبارية أكبر تجمع ديني في العالم؟») كريستيان ساينس مونيتور، 1 ديسمبر/ كانون الأول، 2016، www.csmonitor.com/World/Global-News/2016/1201/Did-the-news-media-overlook-the-world-s-biggest-religious-gathering.

34. على سبيل المثال، جرى أيضا تسييس الأربعين خلال العام 1964. انظر كوربوز *Guardians of Shi'ism* (حراس الشيعة)، الفصل 5.

35. إيزابيل كولز وعلي نبهان، "After Defeating Islamic State, Iraq's Shiites Turn Ire Toward Government," («بعد هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية، يتجه الشيعة العراقيون نحو الحكومة»)، وول ستريت جورنال، 12 مارس/ آذار، 2018.

36. هربرت كيلمان، "Conflict Resolution and Reconciliation: A Social-Psychological Perspective on Ending Violent Conflict between Identity Groups," («حل النزاعات والمصالحة: منظور اجتماعي – نفسي بشأن إنهاء الصراع العنيف بين المجموعات ذوات الهويات المختلفة»)، Landscapes of Violence رقم 1 (2001).

37. دانييل فيلبوت، "An Ethic of Political Reconciliation," talk at Boston University Institute on Culture, Religion and World Affairs, Key Issues in Religion and World Affairs («أخلاقيات المصالحة السياسية») (حديث في معهد جامعة بوسطن للثقافة والدين والشؤون العالمية، قضايا رئيسية في الدين والشؤون العالمية، 30 يناير/ كانون الثاني، 2014)، www.bu.edu/cura/files/2013/10/Philpott-Summary-of-CURA-Talk1.pdf.

38. رشا دياب، *Shades of Sulh: The Rhetorics of Arab-Islamic Reconciliation* (ظلال الصلح: خطابات المصالحة الإسلامية) (مطبعة جامعة بيتسبرج، 2016)، 12.

39. الآية 128، سورة النساء؛ الآية 9، سورة الحجرات.

40. أسيل الرمحي، "Sulh: A Crucial Part of Islamic Arbitration," («الصلح: مكون مهم في التحكيم الإسلامي»)، ورقة عمل رقم *LSE*. 12، 2008، www.lse.ac.uk/law/working-paper-series/2007-08/WPS2008-12-Al-Ramahi.pdf.

41. جون دبليو دي جروتشي، *Reconciliation: Restoring Justice* (المصالحة: استعادة العدالة). (مطبعة إس سي إم 2002)، 2.

42. لور، *Transnational Shia Politics* (السياسة الشيعية العابرة للقوميات الوطنية)، 92.

43. حتى لورنس لور، الباحثة البارزة في هذا الموضوع، تعترف بأن خلفية النزاع «غير واضحة إلى حد ما، وأن التاريخ الحقيقي لم يدرس بعد بالتفصيل» (لور، Transnational Shia Politics السياسة الشيعية العابرة للقوميات الوطنية، 91).

44. أراش عزيزي، "Iran targets 'MI6 Shiites," («إيران تستهدف الشيعة إم16»)، المونيتور، 4 مايو/ أيار، 2015.

45. لور، *Transnational Shia Politics* (السياسة الشيعية العابرة للقوميات الوطنية)، 270.

46. هشام الهاشمي، مقابلة 4 نوفمبر/ تشرين الثاني، 2017، بغداد.

47. علي المعموري، "Islamic parties intimidate, fear atheists in Iraq," («الأحزاب الإسلامية تزعج الملحدين في العراق وتثير مخاوفهم»)، المونيتور، 22 يونيو/ حزيران 2017، www.al-monitor.com/pulse/originals/2017/06/iraq-atheism-political-islam-human-rights.html.

48. تضمن كتاب ألبرت حوراني *Arabic Thought in the Liberal Age 1798-1939* (الفكر العربي في العصر الليبرالي *1798-1939*) توضيحا للأساس اللاهوتي للحجة القائلة إن الممارسة الإسلامية تتطلب قيام دولة إسلامية (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1962)، الفصل 1.

49. ديفيد روبسون، "The 'Underground Railroad› to Save Atheists" («خط السكة الحديدية تحت الأرض» لإنقاذ الملحدين)، أتلانتك، 18 يناير/ كانون الثاني، 2018، www.theatlantic.com/international/archive/2018/01/the-underground-railroad-to-save-atheists/550229.

50. كاوا عمر وريكار حسين، "Mystical Sufi Dancing Rituals Return to Mosul After IS," («طقوس الرقص الروحانية الصوفية تعود إلى الموصل بعد داعش»)، في أو إيه الإخبارية، 27 أغسطس/ آب، 2018، www.voanews.com/a/mystical-sufi-dancing-rituals-return-mosul-islamic-state/4546955.html.

51. سيلفان ميركادير، "Meet the Kasnazani, the Sufi order that practices life-endangering rituals," («تعرف على الكسنزانية، الطريقة الصوفية التي تمارس طقوسا تهدد الحياة»)، العربي، 29 نوفمبر/ تشرين الثاني، 2018، www.alaraby.co.uk/english/indepth/2018/11/26/meet-the-qadiriyeh.

52. على الرغم من عدم ذكر أسمائهم في المقابلات، فقد وثقت أبحاث وتقارير أخرى دور القيادة والمجتمع لدعم دور الأخوات الكاثوليك الدومينيكيات في إقليم كردستان كأحد الأمثلة على الجهات الدينية النسائية الفاعلة العاملة في العمل الاجتماعي. بقيت العديد من هذه الأخوات في العراق بعد غزو الولايات المتحدة وغزو داعش من أجل الاستمرار في تقديم سبل الدعم الطبية والتعليمية وغيرها للمجتمعات المحلية، وكذلك لتوفير الملاذ الآمن في أديرتهم. انظر توم غالاغر، "Dominican Sisters recount their flight from ISIS"، «الأخوات الدومينيكيات يسردن هروبهن من داعش»، الناشيونال كاثوليك ريبورتر، 13 أبريل/ نيسان، 2016، www.ncronline.org/blogs/ncr-today/dominican-sisters-recount-their-flight-isis.

53. طيبة حسن آل خليفة شريف، "Sacred Narratives Linking Iraqi Shiite Women across Time & Space"، («الروايات المقدسة التي تربط النساء الشيعة العراقيات عبر الزمان والمكان») فصل في كتاب *Muslim Networks from Hajj to Hip Hop*، (الشبكات الإسلامية من الحج إلى الهيب هوب)، حررته ميريام كوك وبروس ب. لورنس (مطبعة جامعة نورث كارولينا، 2006)، 147.
54. يمثل اختيار حائري أمرا ذا دلالة. ولد حائري في إيران، لكنه انتقل إلى العراق في شبابه. درس في عهد محمد باقر الصدر (والد زوجة مقتدى الصدر)، وعقب إقدام نظام صدام حسين على إعدام باقر الصدر في عام 1980، أصبح حائري السلطة الدينية الرئيسية في أوساط حزب الدعوة في الثمانينات. من المؤكد أن اختيار الصدر للدراسة عليه قد أظهر نيته في حيازة مكانة الزعيم السياسي والديني في آن واحد.
55. يعتبر الانتساب لذرية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أمرا مهما لكل من السنة والشيعة، لكنه ذو أهمية خاصة بالنسبة للشيعة. جدير بالذكر أن الانقسام بين المسلمين السنة والشيعة ناتج عن الخلاف حول من يجب أن يخلف النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في قيادة مجتمع المسلمين بعد وفاته. صحابة النبي الذين فضلوا علي، ابن عم النبي وصهره، أصبحوا فيما بعد الشيعة (كلمة شيعة مشتقة من عبارة شيعة علي التي تعني «حزب علي»). يرى الشيعة أن ذرية النبي من خلال علي وابنة النبي فاطمة، بدءا بولديهما الحسن والحسين، هم القادة الشرعيون للمجتمع الإسلامي. هؤلاء المنحدرين من ذرية النبوة يحملون لقب إمام، والذي يفيد معنى أوسع بكثير من مجرد قيادة الصلاة إذ يشمل القيادة السياسية واللاهوتية.
56. حسن قزويني، "'American Crescent,'" («الهلال الأمريكي»)، نيويورك تايمز، 6 يناير/كانون الثاني، 2018، www.nytimes.com/2008/01/06/books/chapters/1st-chapter-american-crescent.html.
57. "Biography of Ayatollah Khameni the Leader of the Islamic Revolution" ، («سيرة آية الله الخُميني قائد الثورة الإسلامية»)، http://english.khamenei.ir/news/2130/bio.
58. بشار وردة، "Remarks at the Berkley Center of Georgetown University," («ملاحظات في مركز بيركلي بجامعة جورج تاون»)، 15 فبراير/ شباط، 2018، https://berkleycenter.georgetown.edu/events/the-future-of-christianity-and-pluralism-in-iraq.
59. جاك واتلينج، "The Shia Power Brokers of the New Iraq"، («وسطاء السلطة الشيعة في العراق الجديد»)، أتلانتك، 28 أكتوبر/ تشرين الأول، 2016، www.theatlantic.com/international/archive/2016/10/iraq-shia-isis-sistani-shrine/505520.
60. علي المعموري، "Feeling heat, Maliki warns Sistani against opposing third term," («الشعور بالخطر، المالكي يحذر السيستاني من معارضة الولاية الثالثة»)، المونيتور، 8 أغسطس/ آب، 2014، www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/08/sistani-warns-maliki-third-term-iraq-elections.html.
61. علي المعموري، "How did Sistani succeed in ousting Maliki?" («كيف نجح السيستاني في إسقاط المالكي؟»)، المونيتور، 20 أغسطس/ آب، 2014، www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/08/iraq-sistani-democratic-ways-successors-maliki.html.
62. ساجد رضوي، "Political mobilization and the Shi'i religious establishment (marja'iyya)," («التعبئة السياسية والمؤسسة الدينية الشيعية (المرجعية)» إنترناشيونال أفيرز 86، رقم 6 (2010): 1300.
63. ديفيد كوتشينو، "As ISIS is Driven from Iraq, Sunnis Remain Alienated," («بينما يُطرد داعش من العراق، يظل السنة معزولين»)، نيويورك تايمز، 26 أكتوبر/ تشرين الأول، 2017، www.nytimes.com 2017/10/26/world/middleeast/iraq-isis-sunni.html.
64. مصطفى سعدون، "Why Iraqi Christians are against the establishment of their own autonomous region," («لماذا يعارض المسيحيون العراقيون إنشاء إقليم خاص بهم يتمتع بالحكم الذاتي»)، المونيتور، 3 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015، www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/11/iraq-christians-islamic-state-nineveh-plains.html.
65. ريناد منصور وفالح عبد الجبار، "The Popular Mobilization Forces and Iraq's Future,". («قوى التعبئة الشعبية ومستقبل العراق»)، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، أبريل/ نيسان، 2017، http://carnegieendowment.org/files/CMEC_63_Mansour_PMF_Final_Web.pdf.
66. مرتضى حسين، "'Our Allies' Film Highlights the Role of Iranian-Backed Militias in America's Anti-Isis Coalition," (فيلم «حلفائنا» يسلط الضوء على دور الميليشيات المدعومة من إيران في التحالف المناهض لداعش)، إنترسيبت، 5 أغسطس/ آب، 2017، https://theintercept.com/2017/08/05/our-allies-film-highlights-the-role-of-iranian-backed-militias-in-americas-anti-isis-coalition.
67. بيل روجيو وكالب فايس، "Iraqi Shiite militia leader says he would overthrow government if ordered by Iran's supreme leader," («زعيم ميليشيا شيعية عراقية يقول إنه سيُسقط الحكومة إذا أمره المرشد الأعلى لإيران بذلك»)، مجلة إف دي دي لونج وزر، 12 نوفمبر/ تشرين الثاني، 2015، www.longwarjournal.org/archives/2015/11/us-designated-terrorist-of-iraqi-militia-reportedly-in-aleppo.php.
68. سعد سلوم، "Armed disputes reveal Iraqi Christians' discord,". («النزاعات المسلحة تكشف عن خلاف المسيحيين العراقيين»)، المونيتور، 15 أغسطس/ آب 2017، www.al-monitor.com/pulse/originals/2017/08/christians-armed-factions-iraq-minority.html.
69. نيكولاس هيراس، "Iraq's Fifth Column: Iran's Proxy Network," («الطابور الخامس في العراق: شبكة وكلاء إيران»)، ورقة سياسات في سلسلة مكافحة الإرهاب رقم 02-2012، معهد الشرق الأوسط، 17 أكتوبر/ تشرين الأول، 2017، www.mei.edu/content/iraq-s-fifth-column-iran-s-proxy-network.
70. وسيم باسم، "Iraqi youths embrace religious traditions," («الشباب العراقي يتبنى التقاليد الدينية»)، المونيتور، 4 يناير/ كانون الثاني، 2015، www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/12/iraq-karbala-babil-religion-youth-social-life.html. كلمات ماجد شكر تنطوي على شيء من المبالغة (فواقع الأمر أن أغاني الحب تُبَثُّ على القنوات العراقية الرئيسية)، على أننا أوردنا تعليقه لتوضيح التصور الذي مفاده أن وسائل الإعلام الدينية تلعب دورا مهما في تعبئة المواطنين.
71. لا يمكن تبين أي من هؤلاء المتابعين موجود في العراق، وأي منهم موجود خارج العراق. بالنسبة لمعظم الأرقام المفصلة هنا، يفترض أن غالبيتهم موجودون في العراق. على أن هناك استثناءً رئيسيا وهو الأرقام المرتبطة بالشيرازيين، الذين يتمتعون بمتابعة واسعة في الخارج، خاصة في لندن.
72. على سبيل المثال، براء عبد الهادي مظهر البياتي، وهي بائعة كتب شهيرة في شارع المتنبي، تستعرض الكتب الجديدة على قناتها على YouTube (www.youtube.com/channel/UCPxKSugrvpIQvhEmZ-cdlKg).
73. جيسون ريزاسلان، "The #MeToo movement has shaken the world. Can #MosqueMeToo shake Islam?," («وسم حركة MeToo يهز العالم. هل يمكن لوسم MosqueMeToo هز الإسلام؟»)، واشنطن بوست، 8 مارس/ آذار، 2018، www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/2018/03/08/the-metoo-movement-has-shaken-the-world-can-mosquemetoo-shake-islam.
74. لمعرفة المزيد عن الصميدعي، بما في ذلك الغموض الذي يكتنف موقفه من السلطة الدينية، راجع كوسار نوازاد، "Iraqi Grand Mufti says New Year's celebrations 'not permissible,'" («مفتي العراق يقول إن احتفالات العام الجديد «ليست حلالا»)، « كردستان 24». www.kurdistan24.net/en/news/3b98097a-8fc3-4c33-abef-2cfa3ec7a86c.

نبذة عن المعهد

معهد الولايات المتحدة للسلام هو معهد وطني غير حزبي ومستقل. أسس الكونغرس المعهد انطلاقا من الفكرة التي مفادها أن عالما من دون النزاعات العنيفة أمر ممكن وقابل للتطبيق وضروري للأمن الأمريكي والعالمي. وفيما يتصل بمناطق النزاع في الخارج، يتعاون المعهد مع شركاء محليين لمنع نشوب النزاعات العنيفة والتخفيف من حدتها وحلها. كذلك، فإنه من أجل الحد من الأزمات المستقبلية، والحد من الاحتياج إلى تدخلات مكلفة، يتعاون معهد الولايات المتحدة من أجل السلام مع الحكومات والمجتمعات المدنية لمساعدة بلدانهم على الوصول إلى تسويات سلمية لمشاكلهم. كما يدعم المعهد الجهات التي تعمل من أجل بناء عالم أكثر سلما وشملا بالخبرة والتدريب والتحليل والدعم.

مجلس الإدارة

ستيفن جي هادلي (رئيسًا)، المدير، RiceHadleyGates، LLC، واشنطن العاصمة • جورج إي. موس (نائب الرئيس)، أستاذ مساعد ممارس، جامعة جورج واشنطن، واشنطن العاصمة • جودي أنسلي، المساعد السابق للرئيس ونائب مستشار الأمن القومي في ظل حكم جورج دبليو بوش، واشنطن العاصمة • إيريك إيديلمان، هيرتوغ ممارس مزاول للمهنة، جونز هوبكنز جامعة ومدرسة الدراسات العليا الدولية، واشنطن العاصمة • جوزيف إيلدريدج، مسؤول كبير بالجامعة وأحد كبار الأساتذة المساعدين، مدرسة الخدمات الدولية، الجامعة الأمريكية • كيري كينيدي، رئيس، مركز روبرت إف. كينيدي للعدالة وحقوق الإنسان، واشنطن العاصمة • إكرام يو. خان، رئيس، Quality Care Consultants، شركة ذات مسؤولية محدودة، لاس فيغاس، نيفادا • ستيفن دي. كراسنير، غراهام هـ. ستيوارت أستاذ العلاقات الدولية، جامعة ستانفورد، بالو ألتو، كاليفورنيا • جون ايه. لانكستر، المدير التنفيذي السابق، المجلس الدولي المعني بالعيش المستقل، بوتسدام، نيويورك • جيريمي ايه. رابكين، أستاذ قانون، جامعة جورج ميسن، فيرفاكس، فيرجينيا • ج. روبنسون ويست، رئيس، PFC Energy، واشنطن العاصمة • نانسي زيركين، نائب الرئيس التنفيذي، ومؤتمر القيادة بشأن الحقوق المدنية وحقوق الإنسان، واشنطن العاصمة.

أعضاء شرفيون

مارك بومبو، وزير الخارجية • مارك ت. إسبر، وزير الدفاع • فريدريك ج. رويج، نائب أدميرال، البحرية الأمريكية؛ رئيس، جامعة الدفاع الوطني • نانسي ليندبورغ، رئيسة ومديرة تنفيذية، معهد الولايات المتحدة للسلام (بدون تصويت)

مطبعة معهد الولايات المتحدة للسلام

منذ إنشائها في عام 1991، نشرت مطبعة معهد الولايات المتحدة للسلام المئات من الكتب والتقارير والموجزات المهمة حول منع النزاعات الدولية وإدارتها وحلها. تنبثق جميع كتبنا وتقاريرنا من الأبحاث والعمل الميداني الذي ترعاه برامج المعهد المختلفة. وتلتزم المطبعة بتوسيع نطاق عمل المعهد من خلال الاستمرار في نشر منشورات مهمة ومستدامة للممارسين والباحثين والدبلوماسيين والطلاب. ويخضع كل إصدار لمراجعة نظراء شاملة يُستعان خلالها بخبراء خارجيين للتأكد من أن البحث والاستنتاجات الواردة فيه متوازنة ووثيقة الصلة بالواقع وسليمة.

PEACEWORKS

رقم 154 | نوفمبر/تشرين الثاني 2019

إن لدى الفاعلين الدينيين في العراق على اختلاف انتمائهم الديني والطائفي تأثيرا كبيرا في الوعي الجمعي، وينظر لهم المجتمع باعتبارهم أصحاب دورٍ في تعزيز سير البلاد نحو السلام. ومع أن إشراك الفاعلين الدينيين في جهود المصالحة لا يُعدُّ في حد ذاته ضمانة لنجاح تلك الجهود، لكن الأكيد أن استبعادهم منها سيؤدي إلى إخفاقها. وإن الأقليات الدينية جزء مهم في هذا المشهد المعقد. ولا شك أن التصدي للتحديات التي تواجه الفاعلين الدينيين أمر ضروري لتعزيز جهود السلام والمصالحة المنطلقة من الاعتراف بتعدد الأديان. استنادا إلى منهجية راسخة لرسم خريطة المشهد الديني في البلدان التي عصفت بها النزاعات، وإلى مسعى معرفيٍ رصين تضمن بحوثا ميدانية، ومشاورات أجريت مع خبراء، ومراجعات للمصادر الثانوية، فإن هذا التقرير يقوم بتحليل تأثير الفاعلين الدينيين في العراق—من لديهم تأثير؟ إلامَ يستند تأثيرهم، وكيف يمارسونه—بهدف إلقاء الضوء على الدور المهم الذي يمكن أن يلعبوه.

مطبوعات أخرى لمعهد الولايات المتحدة للسلام

- *Insurgent Bureaucracy: How the Taliban Makes Policy* by Ashley Jackson and Rahmatullah Amiri (Peaceworks, November 2019)
- *Managing the Secure Release of Sensitive Detainees in Libya* by Fiona Mangan and Lillian Dang with Nathaniel L. Wilson (Special Report, October 2019)
- *Local Cross-line Coordination in Syria* by Natasha Hall, Benjamin Smith, and Thomas McGee (Peaceworks, October 2019)
- *Loya Jirgas and Political Crisis Management in Afghanistan: Drawing on the Bank of Tradition* by Scott S. Smith (Special Report, September 2019)
- *Conflict Prevention in Kenya: Combating Corruption through Nonviolent Action* by Hussein Khalid and Tabatha Pilgrim Thompson (Special Report, September 2019)

UNITED STATES INSTITUTE OF PEACE
Making Peace Possible

2301 Constitution Avenue NW
Washington, DC 20037
202.457.1700
www.USIP.org